محنة الفكر الإسلامي في مواجهة العنف

دكتورة/ صفية العدوى خليل

أستاذ مساعد الفلسفة الإسلامية
قسم الفلسفة – كلية الآداب
جامعة بني سويف

مقدمة

تُعَدُّ ظاهرة العنف[*] من أقدم الظواهر التى عرفها الإنسان فى تاريخه، فهذه الظاهرة مست العالم كله، فلا يمكن استثناء دولة بوصفها خالية من العنف، وقد يرجع كثير من المفكرين والفلاسفة ظاهرة العنف والصراع فى حياة الإنسان إلى جوهر طبيعته[١]. فقد يستخدم العنف فى جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير في الآخرين، كما أنه يُعَدُّ من الأمور التى تحظى باهتمام الفلسفة، حيث تسعى إلى قمع ظاهرة العنف ومنع تفشيها[٢].

فالعنف كمفهوم فلسفى يتمثل فى الانتقال من الاعتماد المطلق على القوة الجسمانية إلى الاعتماد على العقل[٣]. وهدف الفلسفة هو مكافحة العنف بجميع تجلياته، من ظلم واستبداد وقمع، من أجل تحقيق العدالة والوحدة والسلام، على أساس أن الفلسفة نسق فكرى يدافع عن هوية الإنسان وكرامته، وأن العنف ظاهرة إنسانية خاصة تهدد هويته وكرامته، فالفلسفة طريقة تفكير تقوم ضد العنف. حيث إن العنف فى أشكاله يخضع لقوانين مختلفة تحد من ظهوره ، وتعمل أيضاً على زواله[٤].

ففى مجال الفكر الإسلامى قد نجد نماذج من الفلاسفة ، والمفكرين، والأئمة، والعلماء، قد تعرضت لضروب من المحن والفتن والابتلاءات والاضطهادات والمواقف العنيفة، ومن ذلك قد يتبادر إلى الذهن محنة[*] "ابن حنبل" (١٦٤- ٢٤١هـ) وصراعه مع

(*) العنف فى معاجم اللغة كما ورد على لسان العرب " لابن منظور " يعنى الخرق والتعدى، فيقول عنف، أى خرق ، ولم يرفق. فالعنف ضد الرفق، نقول أخذه بعنف، أى أخذه بشدة وقسوة، بمعنى لم يكن رفيقاً فى أمره. (انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٤، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٩م، مادة العنف. وانظر المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م، مادة العنف). وعرفه "د. جميل صليبا" فى معجمه الفلسفى بأنه مرادف للشدة والقسوة، والعنيف هو المتصف بالعنف ، وعدم الرفق، فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشىء ويكون مفروضاً عليه من خارج فهو بمعنى ما، فعل عنيف. (انظر د. جميل صليبا: المعجم الفلسفى، ج٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م، مادة العنف، ص١١٢، ١١٣).

(1) www.maaber.org. ظاهرة العنف .
www.mawdoo3.com. وانظر: مفهوم العنف وأشكاله .
(2) https://ar.m.wikipedia.org. العنف ، أنواعه وأسبابه .
(3) www.baretly.net. مفهوم العنف فلسفياً .
(4) www.maaber.org. ظاهرة العنف .
www.aljabriabed.net. وانظر:
الفلسفة والعنف أية علاقة ؟

(*) المحنة: هى بلاء وشدة، وما يمتحن الإنسان به من بلية، فهى تجربة شديدة ومؤلمة وبخاصة تلك التى تمتحن الشخصية أو القدرة على التحمل، فيقال: امتحن فلان، أى مُحن، ووقع فى محنة، بمعنى امتحن قدرته على التحمل أى ابتلاه . (انظر المعجم الوسيط ، ط٢ ، مطابع دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢م، مادة المحنة. وانظر أيضاً : https://www.almaany.com).

المعتزلة فى مشكلة خلق القرآن، وكيف واجه هذه المحنة، وتحمل كثيراً من القسوة والشدة، والتعذيب فى سبيل تمسكه بعقيدته.

"وابن حزم" (٣٨٤- ٤٥٦هـ) الذى تعرض لمزيد من الاضطهادات فى عصره، وتحمل كثيراً فى سبيل الدفاع عن مذهبه الظاهرى، وكان من أشد المدافعين عنه.

وكذلك "الغزالى" (٤٥٠- ٥٠٥هـ) وما بذله من جهود فى مواجهة العنف والتصدى له، فقد واجه خصومات عنيفة، ونال منه كثيرٌ من فقهاء عصره.

ونجد أيضاً "لابن رشد" (٥٢٠- ٥٩٥هـ) ودعوته للصحوة العقلية فى مواجهة العنف منهجاً نقدياً، فامتازت عقليته بالقدرة على التحليل والنقد لكل ما يعترضه من أصول منهجية، وآراء عقائدية[١]. فالتفكير النقدى يعد فى الواقع قديماً قدم الفلسفة، بمعنى أننا إذا سألنا عن خصائص الفكر الفلسفى، والشروط التى يجب أن تتوافر فى الفكر حتى يكون فكراً فلسفياً، فلابد أن نضع فى الاعتبار أن من الشروط والخصائص المهمة للفكر الفلسفى خاصية النقد، ومن هنا يكون للتفكير النقدى دلالته الفلسفية، ولعل هذا ما يفسر نكبة ابن رشد وهجوم كثيرين على آرائه[٢].

وما واجهه أيضاً "ابن تيمية" (٦٦١- ٧٢٨هـ) من مواقف ومحن فى عصره، فقد وجد الذين يريدون محاربة آرائه وأفكاره أنهم حبسوا شخصه، إلا أنهم لم يحبسوا فكره ورأيه، فقد واجه العنف بالفكر، وقد احتمل الابتلاء بصبر وجلد[٣].

فكل هؤلاء النماذج السابق ذكرها من مفكرى الإسلام والأئمة لهم نزعتهم العقلية النقدية التى تشير إلى حريتهم الفكرية فى التصدى للعنف، وكيفية مكافحته. **وهدفنا من هذا البحث** هو تسليط الضوء على المحن والاضطهادات والابتلاءات والمواقف العنيفة التى تعرض لها هؤلاء، وكيفية التصدى لها من أجل بقاء الفكر، والتى فرضتها عليهم أحوال عصرهم الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية، وزادتهم شدة تمسكاً بآرائهم المدعمة بالأدلة النقلية والعقلية، ونقدهم للانحرافات، والتى رأوا أن من واجبهم التصدى لها[٤]. فلا شك أن التجديد والابتكار الفكرى كان طابع هؤلاء المفكرين وأهم سماتهم .

---

(١) د. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف: مذهب التأويل فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، ١٩٩٩م ص١٩.

(٢) د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م ص١٩، ٢٠ .

(٣) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية) دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ص٦٢٦.

(٤) د. مصطفى حلمى : ابن تيمية (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) تصدير د. إبراهيم مدكور ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين ، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م ص٧١.

فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على تمسكهم بخصائص الفكر الفلسفى، إذ لا يخفى علينا أن المفكر إذا أراد أن يقدم لنا فكراً فلسفياً، فإن هذا الفكر لابد أن يقوم على أساس النقد لا مجرد المتابعة لآراء الآخرين، ومن هنا نجد النقد عندهم معبراً عن الحركة لا السكون، معبراً عن التجديد لا التقليد، معبراً عن الثورة لا الجمود[1].

وتتمثل إشكالية البحث فى طرح عديد من التساؤلات وكيفية الإجابة عنها، وهى:

- ما محنة ابن حنبل، وحقيقة صراعه مع المعتزلة؟
- وهل يمكن مواجهة الفكر بالفكر بدلاً من الشدة والقسوة والعنف وحد السيف، التى تؤدى إلى التأخر وعدم التقدم؟
- وهل واجه ابن حزم العنف بالفكر؟
- وهل دفاع ابن حزم عن مذهبه الظاهرى – الذى تحمل فى سبيله الكثير من العنف والاضطهاد– يُعَدُّ ابتكاراً انفرد به دون غيره من فقهاء الظاهرية؟
- وكيف واجه الغزالى ظاهرة العنف والتصدى لها؟
- وهل استطاع الغزالى مواجهة العنف بمخاطبة العقل، وذلك بقوانين المنطق؟
- وما دعوة ابن رشد للصحوة العقلية فى مواجهة العنف؟
- وهل نكبة ابن رشد ترجع إلى أسباب دينية وفلسفية، أم إلى أسباب سياسية؟
- وهل الانتقادات التى واجهها ابن رشد لم تكن بهدف الهدم، بل كانت بهدف التصحيح والتقويم، والتى تدل على بروز الحس النقدى عنده؟
- وهل استطاع ابن تيمية مواجهة المواقف والمحن التى واجهها فى عصره بالفكر والعلم والدين؟ وهل كان يتحمل البلاء الشديد فى سبيل إعلاء رأيه؟ وهل يمكننا مكافحة العنف والسيطرة عليه بمخاطبة العقل البشرى؟
- وهل قيادة الفكر للعلم أم للفلسفة أم للسياسة أم للدين والشريعة أم لكل هؤلاء معاً؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التى تمثل إشكالية البحث، وتمثل النقاط الأساسية التى يدور حولها البحث.

المنهج المتبع:

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته يمكننا الاستعانة بمنهجين: المنهج التحليلى، والمنهج النقدى بوصفهما أكثر المناهج التى يمكن أن تتفق مع طبيعة هذا البحث، ومعولين على النصوص الفلسفية واستنباط ما يستخلص منها من آراء.

---

(١) د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ص١٨.

العنف وكيفية التصدى له من أجل بقاء الفكر:

محنة ابن حنبل وصراعه مع المعتزلة:

ربما قيل إن بعض اضطهادات أحرار الفكر والمخالفين فى الرأى قد وقعت فى تاريخ الإسلام ، فماذا كانت أسبابها؟

ترتد الاضطهادات فى الإسلام إلى أسباب شخصية، أو دوافع سياسية، أو حين يتدخل الحكام فى مسائل فلسفية ودينية، وفرض رأيهم على مخالفيهم بحد السيف، وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد محنة أهل السنة، وفى مقدمتهم "أحمد بن حنبل"(*) (١٦٤- ٢٤١هـ)(١). لقد نشأت محنة ابن حنبل بسبب تدخل الدولة فى مسألة كلامية أثارت جدلاً بين المسلمين، وهى مسألة القول بخلق القرآن التى كانت تنادى بها فرقة المعتزلة، فقد أقرت الدولة النظرية بتفسيرها الاعتزالى، وحاولت فرضها على علماء المسلمين بالقوة، وأخذت بالشدة جميع الفقهاء الذين لم يقولوا بها، وكان المأمون أول من انتهج هذه السياسة، وتبعه فى ذلك المعتصم، والواثق(٢).

وتعرض أهل السنة للعذاب بسبب إصرارهم على القول بأن القرآن غير مخلوق، ومرد المحنة التى عاشوها إلى أن المأمون قد اقتنع برأى المعتزلة فى أن القرآن مخلوق وليس قديماً، وأن القول بقدمه شبه شرك، والقائل بالشرك يجب رده، فإن عاند وجب قتله، واعتقد المأمون أنه مسئول أمام الله عن عقيدة رعاياه، فتدخلت الدولة بسلطانها، وهيلمانها، وولاتها، وجنودها فى حمل الفقهاء على الاعتقاد بأن القرآن مخلوق، ولولا تدخل الدولة لظل الجدال بين المعتزلة وأهل السنة مجرد مقارعة حجة بحجة، وبرهان ببرهان، وما كان يمكن أن

(*) هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال، ولد ببغداد فى ربيع الأول سنة ١٦٤هـ، وتوفى بها فى ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، وهو محدث وفقيه ومتكلم معروف، ومؤسس المذهب الحنبلى أحد المذاهب السنية الأربعة الكبرى. عاصر أعظم مراحل الثقافة الإسلامية حيوية فى الحديث والتشريع وعلم الكلام والفقه، وكان له فى كل منهما دور كبير فى التطور التاريخى للفكر الإسلامى. وقد اشتهر ابن حنبل فى صباه بالجد والتقوى والإقبال على رواية الحديث بصفة خاصة، ولكنه درس أيضاً فقه الرأى دراسة فاحصة ناقدة. جلس ابن حنبل للتحديث والفتيا بعد أن بلغ الأربعين فحدث فى بيته حيث كان يقصده خاصة تلاميذه، وحدث فى المسجد حيث كان يحضر درسه عدد كبير من الراغبين فى علمه وهديه. (انظر: معجم أعلام الفكر الإنسانى، مقال بقلم د. عفت محمد الشرقاوى: ابن حنبل، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م ص١٠٧، ١٠٨).

(١) د. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية (دراسة مقارنة) مكتبة التراث الإسلامى للنشر، القاهرة، د. ت، ص١٣٢.

(٢) د. عفت محمد الشرقاوى: ابن حنبل (مقال ضمن أعلام الفكر الإنسانى) المجلد الأول ص١٠٨.

يتحول الجدل إلى تعذيب[١].

ولعل شدة ميل المأمون للمعتزلة ترجع إلى أسباب، أهمها:

١- إنه كان تلميذاً "لأبى الهذيل العلاف" فى الأديان والمقالات، وأبو الهذيل كان من أقطاب المعتزلة.

٢- كان المأمون نفسه له سعة عقل ونظر، وكان ميالاً للجدل فى العقائد والبحوث والدراسات العقلية، وكثيراً ما كان يعقد مجالس المناظرات والمناقشات فى النحو والأصول، وكان المعتزلة إذ ذاك هم فرسان ذلك العصر والغالبون فيه، لما اختصوا به من سعة العقل وكثرة الجدل، فوافق ذلك هوى المأمون فقربهم إليه، حتى اختار منهم وزراءه وخص منهم "أحمد بن أبى داوود" بالرعاية والعطف، حتى إنه عند موته أوصى أخاه المعتصم بأن يُبقى عليه فى منصبه، وأن يستعين به فى مشورته ويشركه فى أمره[٢].

وكان ابن حنبل من بين العلماء الذين دُعُوا إلى القول بخلق القرآن فى عهد المأمون فلم يستجب لذلك، وقد مات المأمون قبل أن يقضى فى أمره. وفى عهد المعتصم سِيق الإمام مكبلاً بالحديد فأُمِر بضربه وتعذيبه بقسوة شديدة، ولكن الإمام ابن حنبل احتمل ذلك فى صبر بالغ، فلم يتراجع عن رأيه حتى اضطر المسئولون إلى السماح له بالعودة إلى داره، بعد حبس استمر فى جملته سنتين، فعاش فيما يشبه العزلة طوال خلافة المعتصم، والواثق، خشية من نفوذ المعتزلة وكيدهم له، ولم تكف الدولة عن إيذائه تماماً إلا فى عهد المتوكل الذى رد لمذهب أهل السنة مكانته السابقة، وحاول استرضاء ابن حنبل وتقريبه إليه، فتمكن من استئناف نشاطه العلمى والدينى كاملاً فى الدرس والتحديث[٣].

بدأ المتوكل خلافته سنة ٢٣٢هـ وظلت المحنة قائمة خلال عامين من حكمه، وفى سنة ٢٣٤هـ أوقف المتوكل أخذ الناس بالمحنة، وأصدر إعلاناً عاماً فى أنحاء الدولة نهى فيه الناس عن الإقرار بخلق القرآن، وهدد من يخوض فى ذلك بالقتل، فعم الناس الفرح فى كل مكان، وأثنوا على سجايا الخليفة ومآثره، وقالوا الخلفاء ثلاثة أبو بكر يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم، والمتوكل فى إحياء السنة، وأبطل المتوكل المحنة، وتوعد

---

(١) د. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية (دراسة مقارنة) ص١٣٢.

(٢) د. فتحى أحمد رضوان: مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السلف، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠٠١م ص٤٩.

(٣) د. عفت محمد الشرقاوى: ابن حنبل (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) المجلد الأول ص١٠٨.

القائلين بخلق القرآن ونهى عن الجدل، وأعاد لأهل السنة هيبتهم ومكانتهم[١].

ولا نترك هذه المحنة من غير أن نذكر حقيقة رأى ابن حنبل، ورأى المعتزلة، فنجد أن الإمام أحمد بن حنبل فى أول أمره كان يتوقف عن القول بأن القرآن مخلوق، أو غير مخلوق، لأنه يرى أن ذلك بدعة من القول، وأقر بأنه كلام الله، وقال لا أزيد على هذا، وقد كان ابن حنبل يقول من قال إن لفظ القرآن مخلوق فهو جهمى، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع. ولكنه بعد أن زالت المحنة ما كان يستطيع أن يستمر على موقفه، بل لابد أن يدلى بقوله مؤيداً أحد الاتجاهين، وقد طلب إليه المتوكل ذلك، فاختار ما رآه أسلم فى نظره وهو أن يقول أن القرآن ليس بمخلوق، لأنه كلام الله، ولأنه من علم الله تعالى، ولأن الله نسبه إليه على أنه من كلامه ومن أمره.

أما المعتزلة فقد قرروا أن القرآن مخلوق، وهذا لا يمنع أنه كلام الله تعالى ومعجزة النبى (ﷺ)، فالله سبحانه وتعالى خلقه، وأوحى به إلى النبى (ﷺ)، ونزله عليه، وجعله فوق قدرة البشر، فلن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. وحجتهم فى ذلك تقوم على ثلاث دعائم:

الأولى: إن كل شىء ما عدا الله تعالى مخلوق لله تعالى، والقرآن لايمكن إلا أن يكون غير الله تعالى، فلا يمكن إلا أن يكون مخلوقاً.

الثانية: إن القرآن مكون من حروف وكلمات ينطق بها الناس وليس القرآن إلا تلك، وهذه لا يمكن أن تكون غير مخلوقة، لأنها تقوم بالمخلوقين عند النطق بها، وعند كتابتها.

الثالثة: إنه لو كان القرآن غير مخلوق لكان قديماً، لأن غير المخلوق لا ابتداء له، وما لا ابتداء له لا يمكن إلا أن يكون قديماً [٢].

ويشير "القاضى عبد الجبار" (ت ٤١٥هـ) وهو من أشهر رجال المعتزلة، فى كتابه "شرح الأصول الخمسة" إلى أن الحديث فى القرآن وكلام الله من أهم المشاكل التى أثارت ضجة كبيرة فى صفوف العلماء والعامة، وارتبطت بها محنة كبيرة تعرف بمحنة الإمام أحمد بن حنبل، وكان شعار النظريتين المتنازعتين هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ فتزعم المعتزلة جهة المنادين بخلق القرآن، واستجلبوا لصفهم خليفة من أعظم الخلفاء وهو المأمون، ووزيراً من أعظم وزراء بنى العباس وهو أحمد بن أبى داوود، وذهب ضحية الخلاف كثيرون، وثبت

---

(١) د. فتحى أحمد رضوان: مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السلف ص٧٤، ٧٥.

(٢) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية) ص ٥٠١- ٥٠٣ .

القائلون بأنه غير مخلوق على رأيهم، وليس لهم من أمور الحكم شيء، وتراجع القائلون بخلق القرآن تحت ضغط الناس، وخرج أحمد ابن حنبل من المحنة ظافراً يُضْرب به المثل فى الثبات على العقيدة، كما سجل المعتزلة بموقفهم ومحاولتهم أخذ الناس بالعنف على القول برأيهم أسوأ مثال على التدخل فى الحرية الفكرية، مع أنهم روادها الأوائل.

ويقول "القاضى عبد الجبار" إن مذهبنا فى ذلك هو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث، أنزله الله على نبيه، ليكون علماً ودالاً على نبوته، وجعله دلالة لنا على الأحكام لنرجع إليه فى الحلال والحرام. واستوجب منا بذلك الحمد والشكر والتحميد والتقديس، وإذن هو الذى نسمعه اليوم ونتلوه، فهو مضاف إليه تعالى على الحقيقة[1].

ولقد رد "ابن تيمية" (٦٦١- ٧٢٨هـ) الأساس الذى بنى عليه الاعتراض فأتاه من قواعده، فبين أن القرآن إن كان غير مخلوق، فليس معناه أنه قديم، ويقرر أن الإمام أحمد بن حنبل لم يقل إن القرآن قديم، بل لم يتجاوز أنه قال: إنه غير مخلوق، ولا تلازم بين كونه غير مخلوق، وكونه قديماً، فلا يلزم من أن يكون غير مخلوق أن يكون قديماً، وقد اتجه ابن تيمية فى تقريب ذلك النظر نفسه، فيقرر أن القرآن الذى يُقرأ هو كلام الله تكلم به وأوحى به إلى نبيه الكريم، وإذا كانت القراءة صوت العبد، فهى مخلوقة كما أن العبد مخلوق.

ويستخلص ابن تيمية من هذا أن القرآن غير مخلوق، ولا يقول إنه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبى (ﷺ) كلامه بالروح الأمين جبريل، وبذلك يتحرر رأى ابن تيمية وأحمد بن حنبل فى كون القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه غير قديم[2] .

لا شك أن ما ذكرناه من محنة ابن حنبل وما واجهه من عنف وقسوة يجعلنا نتساءل:

لماذا نواجه الفكر بالعنف والقسوة والشدة؟ ولم نواجه الفكر بالفكر؟

فهذه ظاهرة سلبية واجهت ابن حنبل من قِبل أكبر المفكرين كالمعتزلة على الرغم من أنهم أكبر الفرق العقلية الذين نادوا بحرية الفكر والعقل وحرية الرأى، فقد كان تعصبهم لموقفهم على من يرفض فكرهم كقضية خلق القرآن المرتبطة بمحنة ابن حنبل، كان في منتهى العنف

---

(١) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم، حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان، ط٢، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ص٥٢٧ هامش (١) ، ص ٥٢٨ .

(٢) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل، ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٢١، ٢٢. وانظر محمد أبو زهرة: ابن تيمية (حياته وعصره- آراؤه وفقهه) دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١م ص٢٥٠ - ٢٥٢ .

والقسوة، وموقفه مناقض تماماً لنزعتهم العقلية وحريتهم الفكرية التى دفعتهم إلى فرض رأيهم بالقوة. فلماذا لا تواجه المعتزلة الفكر بالفكر بدلاً من العنف والقسوة وهم أهل الفكر والإبداع والحرية؟ فلا شك أن احترام وإبداء رأى الآخرين هو قمة التقدم والإبداع حتى لو كان هناك اختلاف فى الرأى، فالاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية، بل يُكْسِب الإنسان خبرة وتقدير وحرية ونظرة فاحصة ناقدة تدفعه إلى التأمل والبحث والنظر والتعمق لاكتشاف الحقيقة والوصول إلى المعرفة، وكل ما هو جديد وحديث.

مواجهة ابن حزم العنف بالفكر:

تعرضت مسألة حرق الكتب فى العهد الأندلسي، وخصوصاً فى القرنين الخامس والسادس للهجرة إلى نقاش واسع تناول طبيعة السلطة واضطراب علاقتها بالمثقف، فالسلطة من جهتها كانت تريد احتكار السيطرة وصولاً إلى تكبيل العقل، والمثقف استغل امتيازه المعرفى للوصول إلى السلطة، وبسبب تعارض الطموحين انتهى الأمر فى حالات كثيرة إلى غضب السلطان، وانقلابه على المثقف.

ظاهرة حرق الكتب ليست خاصية أندلسية أو إسلامية فحسب، بل شهدت مثلها مختلف حضارات العالم، وأشهر حملة لحرق الكتب تم تسجيلها فى تاريخ الإنسانية تلك التى أقدم عليها الامبراطور الصينى "شى هوابغ تى" فى العام ٢١٢ قبل الميلاد حين قاد حربه على الكتب القديمة، فأتلف وحرق مئات الدراسات التاريخية والأدبية والقانونية، وطارد الأدباء والعلماء فى صحارى الصين وجبالها، وتتسم حملة الامبراطور الصينى بأنها الأكبر فى التاريخ والأشمل؛ لأنها لم تقتصر على مفكر معيّن أو أديب أو مؤرخ، بل طالت كل الكتب التى سبقت عهده. والغريب أن الامبراطور المذكور يُعَدُّ من أهم الشخصيات التى عرفتها الصين، وتنسب إليه إنجازات حضارية وعسكرية وسياسية كبيرة، فهو الذى شجَّع على البدء فى بناء سور الصين، لوقف هجمات المغول (التتار)، فالحرق برأى الامبراطور هو إلغاء السابق، والبدء من جديد[1].

فقد كان "ابن حزم"[*] (٣٨٤- ٤٥٦هـ) من العلماء الذين تعرضوا للعنف والقسوة،

---

(1) www.alwasatnews.com.
ظاهرة حرق الكتب فى التاريخ الأندلسي.

(*) ابن حزم هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم ولد سنة ٣٨٤هـ، وتوفى سنة ٤٥٦هـ، نشأ فى قرطبة بالأندلس وكان من علمائها فى الحديث والفقه يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، وكان فى أول أمره شافعياً، ثم مال إلى مذهب أهل الظاهر. وقد طاب لبعض المترجمين لحياة ابن حزم أن يطلقوا عليه "ابن حزم الأندلسي" نسبة إلى بلاد الأندلس التى ولد بها وعاش على أرضها. ومال البعض إلى نسبته إلى قرطبة فقالوا "ابن حزم

ويرتبط بمصنفات ابن حزم حادثة خطيرة تكررت بالأندلس كلما ضاق أهلها بأحد ممن يخالفهم من العلماء، وهى إحراق كتبه علانية بأشبيلية، بيد أنها لم تفقد من جراء ذلك، فقد كان له جماعة من تلاميذه النجباء الذين قدروا فكره، وحافظوا على كتبه التى كانوا يمتلكونها بنسخها ونشرها بين الناس، ولذا فعندما أحصاها "ابن مرزوق اليحصبى" وهو من المتأخرين وجدها ثمانين ألف ورقة، وهو إحصاء "أبى رافع الفضل" فى القرن الخامس الهجرى "الحادى

القرطبى" نسبة إلى مسقط رأسه ومهد طفولته ومكان إقامته الأولى. وكذلك ذكر البعض نسبته إلى فارس فقيل "ابن حزم الفارسى" نسبة إلى بلاد فارس حيث كانت إقامة أجداده. (انظر ياقوت الرومى: معجم الأدباء، المجلد ٦، ج١٢، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ص٢٣٥، ٢٣٦. وانظر ابن حزم: ديوان الإمام ابن حزم الظاهرى، جمع وتحقيق ودراسة د.صبحى رشاد عبد الكريم، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م ص٨. وانظر أيضاً طه الحاجرى: ابن حزم صورة أندلسية، دار الفكر العربى، القاهرة ص١٧. وانظر أيضاً: إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) ط٥، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م ص٢٤٦. وانظر:

M. W. Watt: A History of Islamic Spain, Edinbury, 1967, p. 134.

ولمزيد من الإيضاح انظر: شمس الدين الذهبى: كتاب تذكرة الحفاظ، ج٣، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند، ص٣٤١، ٣٤٨).

فابن حزم عالم فذ من أعلام الفكر العربى الإسلامى، وهو من أشهر علماء الأندلس وأكثرهم ذكراً فى مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء، وأوسعهم أفقاً، وأكثرهم أصالة وعبقرية، فهو شاعر ومفكر ومن علماء التوحيد، ومؤرخ وناقد للمذاهب الدينية والمدارس الفلسفية واللاهوتية، كما أنه باحث فى الأخلاقيات والتشريع والسياسة والمنطق. وكان ابن حزم من أنشط المفكرين إنتاجاً وأكثرهم تنوعاً، فقد كتب فى اللغة والأدب والفقه وأصول الفقه وأصول الدين، كما قيل إنه كتب فى الطب وغيره من العلوم. (انظر ابن كثير: البداية والنهاية فى التاريخ، ج١٢، مطبعة السعادة، القاهرة، ص٩١، ٩٢. وانظر أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الإندلسى، ترجمة حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م ص٧. وانظر أيضاً أرندنك فان: ابن حزم، مقالة فى دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ط٢، مكتبة الشعب للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٦٩م ص٢٥٤، ٢٥٥. وانظر أيضاً د. فوقية حسين: ابن حزم ، مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م ص١٠٥. وانظر ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م ص١٣، ١٤). فقد عاش ابن حزم فى وسط ثقافى زاخر بالعلوم والمعارف، وبثقافة ابن حزم الواسعة فقد وصفه ابن بسام فى "كتابه الذخيرة" بأنه كالبحر لا يكف غواربه ولا يروى شاربه. ونجد أيضاً من العلماء الذين اعترفوا له بالتبحر والاجتهاد والثقافة الواسعة والعلم الغزير تلميذه الحافظ الحميدى. إضافة إلى ذلك فقد كان والد ابن حزم وزيراً له مكانته بين حكام الأندلس، ولهذا الوالد أثر كبير فى ابنه الذى اتجه مثل أبيه نحو العلم والصلاح والقدوة الحسنة والدفاع عن الدين وحب السياسة. (انظر ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الأول، القسم الأول، دار الثقافة، بيروت- لبنان،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ص١٦٧. وانظر أيضاً الحافظ الحميدى: جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٢م ص٢٩٠. وانظر د. فوقية حسين: ابن حزم، مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى، المجلد الأول ص١٠٣).

عشر الميلادي" ويمكن أن ترجع أسباب هذه الحادثة إلى الآتى:

أولاً: ثقة ابن حزم بنفسه عند منازلة كبار فقهاء المالكية، وعدم تردده فى تسفيه آرائهم طالما خالفت ما يراه حقاً.

ثانياً: معارضة فقهاء المالكية له وسعيهم لدى السلطان للإيقاع به وإثارة العامة ضده، ومن ثم التقت أغراضهم مع ما كان يرمى إليه "المعتضد بن عباد" حاكم أشبيلية، فكانت واقعة إحراق كتبه على مسمع ومرأى من الناس.

ثالثًا: إن ابن حزم لم يكن ينظر إلى أمراء عصره ومنهم المعتضد بن عباد نظرة إكبار، فهو وزير ابن وزير، وما كان له أن ينظر إليهم أكثر من نظرته إلى من دونه، وهم يأنفون من ذلك الأمر الذى دفع المعتضد إلى تدبير مؤامرة تجعله ذليلاً لا يشمخ برأسه عليه ولاعلى غيره وهى إحراق كتبه[١].

فقد حدثت واقعة إحراق الكتب فى المغرب والمشرق على حد سواء، فنلاحظ أن ابن حزم قد تعرض لكثير من الاضطهاد من فقهاء عصره نتيجة لحدة طبعه، وجرأته، ودفاعه عن آرائه ومعتقداته، وتمسكه بمذهب مخالف لمذهبهم وهو المذهب الشافعى، ثم اتجه بعد ذلك إلى مذهب آخر وهو المذهب الظاهرى، وأصبح من أشد المدافعين عنه، بينما كان المذهب السائد فى عصره هو مذهب مالك، ولا شك أن السبب الظاهر لهذا الإحراق هو تأليب الفقهاء عليه، وتحريضهم الأمراء، وشكواهم من أنه يهاجم مالكاً والأئمة الأربعة ويخرج على الناس بفقه لايتصل بفقه الأربعة[٢].

وكان من نتائج ذلك إحراق كتب ابن حزم علانية، وقد عبر عن حزنه لحرق كتبه بالشعر، فمن شعره يصف ما أُحرق من كتبه قوله:

وإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو فى صدري
يسير معى حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن فى قبري
دعونى من إحراق رقٍ وكاغدٍ(*) ... وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدري
وإلا فعودوا فى المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر[٣]

---

(1) https://ar.wikipedia.org. ابن حزم عالم إسلامى وشاعر وفقيه.

(٢) محمد أبو زهرة: ابن حزم (حياته وعصره- آراؤه وفقهه) دار الفكر العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٧م ص٥٥.

(*) الكاغد هو الورق، أما الرق فهو جلد رقيق يكتب فيه. (انظر ياقوت الرومى: معجم الأدباء، المجلد ٦، ج١٢، ص٢٥٣ هامش (١)).

(٣) ياقوت الرومى: معجم الأدباء، المجلد ٦، ج١٢، ص٢٥٢، ٢٥٣.

ولذلك أحرقت كتب ابن حزم علانية ، ويبدو أن الإحراق لم يكن لكل الكتب ، لأن تلاميذه سعوا جاهدين إلى الحفاظ على كتبه التى يمتلكونها بنسخها ونشرها بين الناس .

فقد حرص أغلب المفكرين والعلماء والصفوة بل والعامة فى الأندلس على اقتناء كتب ابن حزم المثيرة للجدل، فراج عمل الناسخين، وأصبحت كتب ابن حزم الأكثر نسخاً ومبيعاً فى الأندلس وعلى مستوى العالم آنذاك، رغم أنها كانت تنسخ وتباع سراً، ولهذا السبب استعصت هذه المؤلفات على الاختفاء، ولم يتمكن أعداء ابن حزم من طمس علمه ومحاربة أفكاره[١].

وكان من مبررات ابن حزم التى جعلته يأخذ بظاهر النص هو ماذكره صريحاً فى كتابه "النبذ فى أصول الفقه الظاهرى" قائلاً: "إنه لايحل لأحد أن يفتى أو يقضى أو يعمل فى الدين إلا بنص قرآنى، أو حديث عن النبى (ﷺ) أو إجماع، فهذه مصادر ثلاثة للنص الذى يعمل وفقه ويشترط فى هذا النص أن يؤخذ بظاهره"[٢].

والظاهرية عند ابن حزم تعنى ظاهر اللفظ من ناحية اللغة، فلا يصرف اللفظ عن معناه اللغوى إلا بنص آخر أو إجماع، فإن نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره، وعما وضع له فى اللغة إلى معنى آخر أو إجماع، فحكم ذلك أنه باطل ويُعَدُّ تبديلاً لكلام الله عزوجل[٣]. وبذلك يمكن القول بأن الفقه الظاهرى يأخذ بظاهر اللفظ فى الأوامر والنواهى، ولايؤولها ولا يبعد عنها، فالنص هو المحور، والحجة مقصورة عليه[٤].

فقد أخذ ابن حزم بالمذهب الظاهرى، وطبقه على الأصول والفروع، فهو مذهب قائم على الكتاب والسنة، والتمسك بالمعنى الظاهرى لهما، وهو لا يتأول بل يأخذ النص بظاهره اللغوى، وكذلك لايحاول تعليل الأحكام ولا استخراج العلل وتعميمها، بل يأخذ المعنى الحقيقى من اللفظ، ولا يتجاوز ظاهره ولا يحاول استخراج علة له، وإن استخدم التأويل، ففى حدود ما تسمح به اللغة وأصول تناول النصوص المنزلة، والرجوع إلى النص يكون بواسطة الدلالة اللغوية المتفق عليها بين أهل اللغة. هذا ما يصر عليه ابن حزم حتى لا يعطى فرصة لتحريف كلام الله وتأويله كل حسب هواه، من غير حجة ، ولا ضرورة شرعية[٥].

---

(1) www.al-watan.com. ابن حزم الأندلسي.

(٢) ابن حزم: النبذ فى أصول الفقه الظاهرى، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثرى، راجعه السيد عزت العطار الحسينى، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٩٤٠م ص٧.

(٣) ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام، تصحيح أحمد محمد شاكر، ج١، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٤٥هـ ص٤٢.

(٤) د. حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلسى (عصره ومنهجه وفكره التربوى) دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م ص٦٨.

(٥) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج٣، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٧٥م ص١٥٢. وانظر د. فوقية حسين: ابن حزم، مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى، المجلد الأول ص١٠٥.

فكانت ظاهرية ابن حزم هى رد فعل لهذه الوصولية التى سادت عصر الطوائف، ففى هذا العصر الذى ساد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية أصبح الفقهاء أكبر عضد لأمراء الطوائف فى تبرير طغيانهم وظلمهم وانحرافهم، وسعياً وراء المناصب عندهم، ولهذا اختار المذهب الظاهرى، لأنه المذهب الذى يوجب الاجتهاد ويمنع التلاعب بالنصوص[١] .

ومهما كان من صرامة المذهب الظاهرى الذى تحمل ابن حزم فى سبيل الدفاع عنه كثيراً من العنت والاضطهاد، فقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن تطبيق ابن حزم للمبادئ الظاهرية على العقائد والمسائل الكلامية ابتكار انفرد به ابن حزم دون غيره من فقهاء الظاهرية[٢].

هكذا فعلى الرغم مما واجهه ابن حزم من عنف وقسوة واضطهاد وإحراق كتبه، إلا أنه لا يزال صامداً قوياً عزيزاً، فقد ظل يواجه العنف والقسوة والشدة بفكره وثقافته وإبداعه العلمى والمعرفى والفقهى والدينى، وكان يدعو دائماً إلى التمسك بالكتاب والسنة وظاهر النص، مع استخدام العقل واستنباط ما يستخلص من آراء وأفكار، والتى تدعوه وتدفعه إلى أعلى مراتب العلم والمعرفة والإبداع.

كيفية مواجهة الغزالى لظاهرة العنف والتصدى لها:

لقد واجه "الغزالي"[*] (٤٥٠- ٥٠٥هـ) خصومات عنيفة ونال كثيراً من الهجوم من

---

(١) د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م ص٨٧- ٨٩.

(٢) د. زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسى (سلسلة أعلام العرب رقم ٥٦) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م ص١٨٢، ٢٠٤.

(*) يعد الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالى من أعلام القرن الخامس الهجرى وإن أدرك خمس سنوات من القرن السادس، فقد ولد فى طوس سنة ٤٥٠هـ- ١٠٥٨م، وتوفى فيها سنة ٥٠٥هـ- ١١١١م، وطوس إحدى مدن خراسان. وبين هذين التاريخين عاش الإمام الغزالى حياة مليئة بطلب العلم والتأمل فيه، فهو إمام متكلم وفيلسوف ومتصوف وفقيه أصولى وعالم أخلاقى. (انظر الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ط١، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، دار الفكر، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م ص ج. وانظر د. سليمان دنيا: الحقيقة فى نظر الغزالى، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م ص١٨. وانظر أيضاً نقولا زيادة: الإمام الغزالى فى كتاب المنقذ من الضلال، مجلة العرب، العدد ١٤٨ مارس، ١٩٧١م ص٤٤). ومما لا ريب فيه أن الغزالى كان شديد الميل إلى القراءة، واسع الاطلاع، غزير الثقافة، لم يدع مذهباً فى عصره إلا عرفه، ولا رأياً إلا ألم به. ولهذا استطاع أن يهضم نظريات الفلاسفة هضماً يمكنه من بسطها ومناضلتها، واستطاع أن يتغلغل إلى علم الكلام فيعرف ما فيه من نفع وضر، وما ينتج من الاشتغال به من خير وشر، واستطاع كذلك أن يكون للأمة العربية فى الأخلاق والتربية وعلم النفس تراث صالح منظوراً إليه من علماء أوروبا فى العصر الحديث بعين الاحترام والإجلال. (انظر محمد غلاب: الأخلاق والتصوف عند الغزالى، مجلة الأزهر، المجلد العاشر، مطبعة الأزهر بالقاهرة، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م ص٧٥٢، ٧٥٣).

فقهاء عصره بسبب اشتغاله بالمنطق، وقد وجد الغزالى أن رجال الدين يهاجمون المنطق لمجرد أنه من العلوم الفلسفية، ولذلك فصل المنطق عن الفلسفة أولاً، ثم ربطه بالدين ثانياً. فمع انتشار الدراسات المنطقية فى الإسلام لم يكن هناك مفر من حدوث مجابهة متوقعة بين المنطق والعقيدة الإسلامية[١].

وقد أمر سلطان المرابطين[*] "على بن يوسف" الذى تولى السلطة بعد أبيه "يوسف بن تاشفين" بأن تحرق كتب الغزالى كلها، وذلك لا لشئ إلا لأن كتب الغزالى قد قرعت أسماع الفقهاء بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها، ونفرت عنه نفوسهم، وحملوا الأمير على أن يأمر بإحراق كتب الغزالى وهم لا يعرفون ما فيها، إلا أنهم يظنوا أن فيها آراء منسوبة إلى الضلال[٢].

ومن المبررات التى تفسر هجوم رجال الدين على الغزالى هو خوفهم على عقيدتهم من الانشغال بالمنطق، فقد نزل القرآن فى بيئة كانت فى حاجة إليه، فكان من الطبيعى أن يهاجموا أى شىء يبعدهم عن دينهم، وعَدُّوا هذا العلم يشكل خطورة على الدين الإسلامى. فإذا كان فى القرآن الكريم إشارة إلى الفكر والنظر والتأمل والتدبر، فكيف كان يحارب من ضيق الأفق والمتعصبين الذين كانوا عقبة كأداء لا فى طريق التقدم البشرى فحسب، بل فى طريق الأوامر القرآنية الصريحة التى رمت كل من لا يتدبر فى ملكوت السموات والأرض، ولا يحاول أن يتأمل فى أسرار الكون ليستنبط منها نتائجها، بأنه فاقد العقل مسلوب اللب، وأكثر من هذا إن القرآن قد وضع لنا فى بعض آياته نماذج من القضايا والحجج البرهانية[٣]، والتى تدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل فى ملكوت السموات والأرض.

ونتيجة لهذا أراد الغزالى أن يتفادى غضب الفقهاء، وأن يخفف من شدة الهجوم عليه وعلى المنطق خوفاً من أن يمحى هذا العلم من الثقافة الإسلامية، مما اضطره إلى إخفاء كلمة منطق من عناوين كتبه، واستخدم أسماء فقهية، أى أنه لم يعرض أبحاثه المنطقية تحت اسم المنطق، واختار أسماء أخرى فقهية مثل معيار العلم، محك النظر، القسطاس

---

(١) نيقولا ريشر: تطور المنطق العربى، ترجمة ودراسة وتعليق د. محمد مهران، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م ص١٦٣، ١٩٥.

(*) المرابطين: دولة أسسها بالمغرب "يوسف بن تاشفين" (١٠٩٠- ١١٠٦م)، وانتهت فى عهد "إسحق" خامس سلاطينها (١١٤٦- ١١٤٧م) وكانت السيادة الفكرية فيها للفقهاء الذين وقفوا من العلوم العقلية موقفاً غير ودى إلى حد كبير. (انظر ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م ص٥).

(٢) د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد، ط٤، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٨٤م ص٤١، ٤٢.

(٣) محمد غلاب: المعرفة عند مفكرى المسلمين، مراجعة عباس محمود العقاد، وزكى نجيب محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ص٢١٤.

المستقيم، المستصفى فى علم الأصول، المنقذ من الضلال وغيرها. ولم يستخدم اصطلاحات منطقية واستعاض عنها باصطلاحات فقهية شائعة عند فقهاء عصره، ثم استخدم أمثلة من الفقه لكى يتفادى هجوم الفقهاء عليه وحدتهم معه .

ولم يكتف الغزالى بذلك، بل أثبت للفقهاء أن المنطق لا يتعارض مع الشرع، بل على العكس فإن دراسة المنطق وقواعده أدت إلى التعمق والتعقل فى آيات القرآن الكريم، واستخراج بعض الآيات فى عمل الأقيسة المنطقية، للاستدلال بها والرد على بعض الحجج والبراهين، فوضعها فى قياس، ليستنبط منها حجة برهانية، ولكى يثبت وحدانية الله، وأنه وحده لا شريك له، فهو وحده الخالق والمبدع والقديم ولا قديم سواه، والتى تثبت عظمة الخالق والصانع وعنايته الإلهية بكل شىء فى الوجود.

ووضع الغزالى أمثلة على ذلك فى كتابه " القسطاس المستقيم" ، منها :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء/ ٢٢.

فقد وضعها على النحو الآتى:

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.

ومعلوم أن العالم لم يفسد.

∴ للعالم إله واحد فقط، وهو الله سبحانه وتعالى.

ومثال آخر:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ﴾ البقرة/ ٢٥٨.

فقد وضعها على النحو الآتى:

كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو الإله.

وإلهى هو القادر على الإطلاع.

∴ إلهى وحده الإله لا شريك له.

وغيرهما من الآيات التى حاول من خلالها استنباط البراهين والحجج الفكرية والعقلية، ولكى يثبت من خلالها إبداع الخالق وعنايته بكل شىء فى الوجود بما فيه من نظام وإتقان واتساق.

إلى جانب ذلك عدَّ الغزالى المنطق ميزاناً لكل العلوم، ليثبت للفقهاء أنه من العلوم التى يستمد أصولها من القرآن الكريم. فقد أشار إلى أن "القسطاس المستقيم"هو الموازين الخمسة وهى ميزان التعادل، وميزان التلازم، وميزان التعاند، وينقسم ميزان التعادل بدوره إلى ثلاثة أقسام، هى الميزان الأكبر، والميزان الأوسط، والميزان الأصغر، فيصير الجميع خمسة، وأشار فى هذا الكتاب أيضاً أن الميزان الذى يتحدث عنه القرآن ليس هو ميزان الذهب والفضة، أو الشعير، أو ما إلى ذلك، وإنما هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته، ثم أخذ يستدل بالآيات القرآنية التى تدل على ذكر الميزان منها قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلا تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن/ ٧- ٩.

وقوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِى أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ الشورى/ ١٧.

وقوله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد/ ٢٥[١].

وغيرها من الآيات القرآنية التى أراد الغزالى من خلالها أن يثبت للفقهاء أن المنطق هو ميزان العلوم، ولا يشكل أى خطر على الدين، بل على العكس دفع كثيراً من الناس إلى التعمق والتأمل فى آياته الحكيمة.

ولكن لو تساءلنا: هل نجح الغزالى فى مواجهة العنف وإبعاد الفقهاء عن الهجوم عليه عن طريق التقرب إلى القرآن الكريم، واستخراج آياته فى استنباط الحجج البرهانية والتى تدفع الإنسان إلى التعقل والتأمل والتدبر فى ملكوت السموات والأرض تلبية لدعوة القرآن الكريم؟

يجيب الغزالى عن هذا التساؤل فى كتابه "القسطاس المستقيم" قائلاً: "إنى رأيت الرفاق من أهل التعليم ضعفاء العقول لا تخدعهم إلا الظواهر، نزلت إلى حدهم فسقيتهم الدواء فى كوب ماء حتى يتأدى بهم إلى الشفاء، وتلطفت بهم تلطف الطبيب بمريضه، ولو ذكرت أنه دواء وعرضته فى قدح الدواء لاشمئزوا عن قبوله"[٢].

---

(١) الغزالى: القسطاس المستقيم ، تحقيق محمد ركابى الرشيدى محمد ، دار الرسالة للطباعة ، القاهرة ، ص١٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق : ص٤٠.

فبالرغم من كل هذا الهجوم على الغزالى، والعنف الذى تعرض له من قبل الفقهاء والمعارضين له والمتعصبين، إلا أنه انتصر فى النهاية حين وضع أسماء فقهية عناوين لكتبه المنطقية، وحاول جاهداً إبقاء هذا العلم فى المجتمع الإسلامى بتقريبه إلى القرآن الكريم واستخراج بعض الآيات القرآنية التى استطاع من خلالها استنباط الحجج البرهانية، وليدفع الناس إلى البحث والتأمل والتعقل استجابة لدعوة القرآن الكريم الذى يحث الإنسان على التدبر فى ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الخالق وإبداعه وإتقانه كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/٧، والتى تدل أيضاً على عظمة القدرة الإلهية وكمال العناية الإلهية بكل شىء فى الوجود، ومن هنا يتضح تنبيه القرآن الكريم المستمر من خلال الآيات القرآنية مثل قوله تعالى:

﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ يونس / ١٠١.

وقوله تعالى:

﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ آل عمران/ ١٩١.

وقوله تعالى:

﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ**﴾ الأعراف/ ١٨٥.

وغيرها من الآيات القرآنية الحكيمة التى تدعو إلى البحث والنظر والتأمل والتعقل.

وبهذا نجح الغزالى فى محاربة العنف بالفكر والتصدى له، ولم يحارب العنف بالعنف.

دعوة ابن رشد للصحوة العقلية فى مواجهة العنف:

على الرغم من النهضة العلمية التى كانت موجودة بالأندلس، فإن الفلسفة بصفة خاصة كانت علماً ممقوتاً في هذه البلاد، فبينما تشجع العلوم كافة يضيق الخناق على الفلسفة ورجالها. فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة، قيدت عليه أنفاسه، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب الفلاسفة، ويرمون العالم بها بالبدعة والزندقة[١]. مثلما فُعِل مع "ابن رشد"(*)

---

(١) د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٤٢ .

(*) ابن رشد هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الفيلسوف والشارح لأرسطو، وقاضى قرطبة. ولد سنة ٥٢٠هـ- ١١٢٦م، وتوفى سنة ٥٩٥هـ-١١٩٨م فى مراكش، وينتمى إلى أسرة عربية عريقة فى بلاد الأندلس، وكان جده وأبوه قاضيين لقرطبة. وقد نشأ ابن رشد الحفيد نشأة مثقفى المسلمين فى عصره، فدرس علم الكلام والفقه والشريعة وروى الحديث، وبرع فيهم جميعًا، ثم تتلمذ على أبى جعفر هارون، ودرس عليه الطب، وأخذ

(٥٢٠– ٥٩٥هـ) الفيلسوف الأندلسى الذى أمر الخليفة الموحدى بإحراق كتبه سنة ١١٨٤م، لأنهم كانوا يضطهدون الفلسفة فى ذلك العصر، فقد حوربت الفلسفة وأحرقت كتبها بحجة أنها مضادة للدين[١]. ولكن يبدو أن الاشتغال بالفلسفة لم يكن هو السبب الحقيقى لتلك المحنة، نظراً لأن أمراء الموحدين شجعوا العلماء والفلاسفة[٢].

عنه كثيراً من علوم الحكمة. (انظر د. محمود قاسم: ابن رشد، مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م ص١٣٩. وانظر ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص٥. وانظر عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م ص٤٥٦– ٤٥٨. وانظر أيضًا: ابن رشد: تهافت التهافت، تقديم وضبط وتعليق د. محمد العريبى، ط١، دار الفكر اللبنانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م ص٧، ٨). ابن رشد فيلسوف مغربى أندلسى يحتل مكانة كبيرة فى تاريخ الفكر الفلسفى العالمى عامة، والفكر الإسلامى العربى على وجه الخصوص. وقد يكون من الصواب إلى حد كبير أن نقول إننا لا نجد فيلسوفاً من فلاسفة العرب، سواء من عاش منهم فى المشرق العربى كالفارابى وابن سينا، أو فى المغرب العربى كابن باجة وابن طفيل، يحتل تلك المكانة التى يحتلها الفيلسوف ابن رشد، وتلك المكانة إنما ترجع أساساً إلى بروز الحس النقدى عند هذا الفيلسوف من جهة، ومواكبة فلسفته للعقل من جهة أخرى. (انظر د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد، ص١٥، ١٧). فابن رشد كان= =من أشهر المدافعين عن الفلسفة فى تاريخ الإسلام، وكان محور جهوده فى دفاعه عن الفلسفة يتمثل فى محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة، فقد كان من أكثر فلاسفة العرب اهتماما بالبحث فى هذا المجال (التوفيق)، ومما يؤيد ذلك أننا نجد لابن رشد كثيراً من المؤلفات التى تتعرض للبحث فى هذا المجال، سواء بصورة أساسية أو بصورة عامة، ومن هذه المؤلفات "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" و"الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة" و"تهافت التهافت"، هذا بالإضافة إلى كثير من الإرشادات التى نجدها بين ثنايا شروحه وتلخيصاته على أرسطو. ويذهب ابن رشد فى كتابه "فصل المقال" إلى القول بأنه إذا كانت الفلسفة عبارة عن النظر فى الموجودات، واعتبار جهة دلالتها على الصانع، وأن الموجودات تدل على الصانع لمعرفة صنعتها، وكلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم، فإن هذا يؤدى إلى القول بأن الشىء قد دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به، وهذا يتبين من آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَىْءٍ**﴾ الأعراف/ ١٨٥. وقوله تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ**﴾ الحشر/ ٢. فالآية الأولى تحث على النظر فى جميع الموجودات، والآية الثانية تنص على وجوب استعمال القياس العقلى أو العقلى والشرعى معاً. (انظر ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص٢٢– ٢٣. وانظر د.عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص٢٩٥– ٢٩٨). وعلى هذا يكون الدين قد حث على التفكير والتأمل والتعقل للوصول إلى الحقيقة ، وهذا هو نفسه ما تهدف إليه الفلسفة. (انظر:
O, Leary (Delacy): Arabic Thought and its Place in History, fourth edition, Kegan Paul. London, 1958, P.253).

(١) د. محمود قاسم: ابن رشد (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) ج١، ص١٤٠.

(٢) د. الطبلاوى محمود سعد: موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد، ط١، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م ص١٨.

لقد كان بين "ابن رشد" و"ابن طفيل" (ت ١١٨٥م) الفيلسوف صلة صداقة وزمالة، وابن طفيل هو الذى قدمه إلى أمير الموحدين أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، فعهد إليه بشرح كتب أرسطو، نظراً لما كان يكتنفها من غموض، فنهض بذلك وأقبل على شرح فلسفة أرسطو والتعليق عليها، وشروحه هذه هى التى دعت الأوروبيين إلى تسميته بالشارح الأكبر، وهى شروح صغيرة ومتوسطة وكبيرة، وقد عينه الأمير قاضياً بمدينة أشبيلية، وكان ابن رشد ينتقل بين مراكش وأشبيلية وقرطبة، ثم دعاه أبو يعقوب يوسف إلى مراكش سنة ٥٧٨هـ، واتخذه طبيباً أول مكان ابن طفيل – عندما تقدم السن بابن طفيل– ثم ولاه القضاء بمدينة قرطبة. ولما مات أبو يعقوب يوسف، وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور بالله، زادت مكانة ابن رشد، وفى سنة ٥٩١هـ وشى به الحاقدون عليه فغضب عليه المنصور، ونفاه إلى اليسانة، قرية خاصة باليهود على مقربة من قرطبة، وأمر بإحراق كتبه، وأصدر منشوراً لعامة المسلمين ينهاهم فيه عن قراءة كتب الفلسفة أو الاشتغال بها، وهدد من يخالف أمره بالعقوبة الصارمة[١]. لأنه كان فى ذلك الزمن من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لغضب العامة، إذ وقع فى وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التى يرتابون بها ويحسبونها من البدعة والضلالة[٢].

لقد كان هدف ابن رشد إعادة تأصيل الأصول فى كل مجال من مجالات الثقافة العربية الإسلامية فى العقيدة والشريعة والفلسفة والطب والعلم واللغة والسياسة، ولكن بسبب دسائس الأعداء والحاقدين أساء المنصور معاملة ابن رشد الذى كان قاضى القضاة وطبيبه الخاص، ثم اتهمه المنصور بالضلال وزيغه عن دروب الحق والهداية، وحرق جميع مؤلفاته الفلسفية، وحظر الاشتغال بالفلسفة والعلوم ما عدا الطب والفلك والرياضيات[٣].

وعند حرق كتب ابن رشد بكى قائلاً: "لا أبكى على الكتب، ولكنى أبكى على ما وصلت إليه أمة الإسلام". فالرواية السائدة فى إحراق كتب ابن رشد أن العامة والفقهاء ضغطوا على الملك الموحدى المنصور – المغرم بالفلسفة– فأبعده وحرق كتبه بحجة أنها مليئة بالبدع والضلال[٤]. ولا ندرى ماذا أحرق من تلك الشروح عند نكبة ابن رشد الفيلسوف

---

(١) ابن رشد: تهافت التهافت ، تقديم وضبط وتعليق د. محمد العريبى ص ٧ ، ٨ . وانظر د. محمود قاسم : ابن رشد (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) ج١، ص١٣٩، ١٤٠. وانظر أيضاً د. محمود قاسم: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد، تراث الإنسانية، المجلد ٢، ص١٥٤، ١٥٥.

(٢) عباس محمود العقاد: ابن رشد، نوابغ الفكر العربى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م ص٢٦.

(3) www.ankawa.com. محنة ابن رشد وحرق كتبه

(4) www.alsharq.net. إحراق كتب ابن رشد.

الإسلامى، وماذا أعان الزمن على ضياعه بعد موته، ولكن البقية الباقية منها تدل على شروح متعددة لا على شرح واحد لكل كتاب تناوله من كتب الفلسفة أو الطب بالتفسير والتيسير، فقد كان من دأبه على ما يظهر أن يتناول الكتاب بالشرح المطول ثم بالشرح الوسيط ثم بالإيجاز[١].

وفى سنة ١١٩٥م عفا المنصور عن ابن رشد، واستقدمه إلى بلاطه وسلمه منصب القضاء[٢]. أما عن عفو الخليفة عن ابن رشد بعد ذلك فليس بالعسير، فإنه قد عفا عنه عقب عودته من الأندلس إلى مراكش، وبعد زوال الغاشية ووضوح الحقيقة فى ظنونه به، حتى قيل إنه أقبل على الفلسفة التى تجنبها حيناً فأكثر من الاطلاع على كتبها[٣].

ولكن لو تساءلنا: هل نكبة ابن رشد ترجع إلى أسباب دينية وفلسفية أم إلى أسباب سياسية؟

يمكن القول بأن نكبة ابن رشد ترجع إلى أسباب دينية وفلسفية، ولا ترجع إلى أسباب سياسية، إذ يبدو لنا أن السبب الحقيقى فى تلك النكبة هو تهويلات بعض الغلاة من الفقهاء، ومزاعمهم التى تصور لنا خطورة الفلسفة على الدين وما يصدر منها من البدع، وعلى الرغم أن ابن رشد نفسه كان فقيهاً متمكناً من علم الفقه والأصول، إلى جانب ذلك فإن محور جهوده في دفاعه عن الفلسفة يتمثل في محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة، ولكن ماذا نفعل حيال قوم اتخذوا من الفقه ستاراً لأغراضهم التى يسعون إليها ويقطعون بها المسلك أمام خصومهم فى المجال الفكرى. فالمنصور إذن امتحن ابن رشد هذه المحنة لا انتقاماً منه ولا اضطهاداً، بل حداً من تهويلات الفقهاء، وهم الذين أثاروا قلب المنصور ضد ابن رشد اعتماداً على دراسته للفلسفة التى لا يمكن إغفالها حين تفسير نكبته، إذ إنها أدت إلى خلق عدد من الأعداء سعوا إلى جعل اعتقاده موضع شك عند المنصور[٤].

وبالرغم من هذا الاضطهاد الذى تعرض له ابن رشد، إلا أن الاتجاه الفلسفى عنده كان اتجاهاً متميزاً عن أسلافه ومعاصريه، وربما يرجع ذلك فيما نرى إلى أن عقلية ابن رشد امتازت بالقدرة على التحليل والنقد لكل ما يعترضه من أصول منهجية وآراء عقائدية. وإن الفضل الذى يرجع إلى ابن رشد فى تاريخ الفكر الفلسفى العربى والإسلامى هو إحياء

---

(١) عباس محمود العقاد: ابن رشد ص٢٧.
(٢) ابن رشد: تهافت التهافت ص٧.
(٣) عباس محمود العقاد: المرجع السابق ص٢٦.
(٤) د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص٤٨، ٤٩.

المنهج العقلى والنظرة التحليلية والنقدية من جديد. وكان ابن رشد أكثر أصالة فى البرهان والوقوف على العقل والمنطق، وإن كان ذلك قد تسبب فى الإساءة إليه، وجرفه إلى تناول مسائل شائكة وخطيرة، إلا أنه كان جريئاً ومجازفاً فى الاستدلال على موقفه ورأيه فى الوجود والعالم، والإلهيات، والحياة الآخرة والقضايا الشرعية، وتحكيم مقولات العقل فى بعض المسائل العقائدية، وربما حمل ابن رشد بعض النصوص القرآنية، والقضايا الإيمانية نظريات فلسفية عن طريق التأويل، بقدر ما يقال عنه من أنه تجاوز حدود الشرع ومنطق العقيدة، ذلك الأمر الذى دفع كبار علماء ومفكرى الإسلام إلى توجيه النقد الشديد له[١].

وقد تبدو فلسفة ابن رشد واضحة فى مؤلفاته ومن أشهرها كتاب "الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة"، ففى هذا الكتاب يتعرض ابن رشد لعدد من الموضوعات والمسائل المهمة التى فرقت بين المسلمين وجعلت الصراع بينهم أكثر حدة، وبخاصة الفرق الإسلامية التى وجهت إليهم كثير من أوجه النقد وبخاصة الأشعرية، ويحاول أن يقدم لنا الحلول لهذه الإشكالات، حتى يقرب وجهات النظر بشرط أن تتفق مع العقل، ولاتتجاوز حدود الشريعة الإسلامية .

ولم يقتصر عمل ابن رشد فى تناوله لعدد من المسائل على الرد والنقد، بل تجاوز هذا الأمر إلى تصحيح منطلقات وآراء الفلاسفة والمتكلمين بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان أو الرجوع إلى الشرع فى كل ما قصرت عن إدراكه العقول[٢].

ولهذا نجد ابن رشد وغيره من الفلاسفة الذين يتميزون بالحس النقدى والشكى يحتلون مكانة كبيرة فى تاريخ الفلسفة قديماً ووسيطاً وحديثاً، فقد احتلها أرسطو بنقده لأكثر الآراء والاتجاهات لأستاذه أفلاطون، واحتلها كانط أيضاً، واحتلها المعتزلة بموقفهم النقدى، رغم أن هذا الموقف من جانبهم كان محصوراً فى دائرة أضيق نطاقاً من الدائرة الفلسفية، أى دائرة التأويل. كما احتلها الفيلسوف العربى ابن رشد إذ إنه نقد أكثر الاتجاهات التى سبقته كالاتجاهات الكلامية والصوفية، واتجاهات فلاسفة سبقوه كالفارابى وابن سينا. ومن هنا نجد أن ابن رشد يقف على قمة الفلسفة العربية، ولا يعنى هذا القول أن هؤلاء الفلاسفة دون غيرهم هم الذين يتميزون باتباع المنهج النقدى، إذ إن ما ذكرناه مجرد أمثلة على بروز الحس النقدى عند فلاسفة يحتلون مكانة كبرى فى تاريخ الفكر الفلسفى، لأن التفكير النقدى يعد فى الواقع قديماً قدم الفلسفة. ولعل هذا ما يفسر نكبة ابن رشد قبل وفاته وهجوم الكثيرين

---

(١) د. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف: مذهب التأويل فى فلسفة ابن رشد، ص١٩، ٢٠.

(٢) ابن رشد: تهافت التهافت ص١٧.

على آرائه بعد موته وحتى يومنا هذا، ولكن الخلود الفكرى كان له، ولم يكن لهؤلاء الذين تصدوا للهجوم عليه[1].

هكذا ظل ابن رشد المدافع الأكبر عن الفلسفة وحاول جاهداً يؤكد أن الفلسفة ليست مضادة للدين الإسلامى ، بل على العكس فهى تهدف إلى ما يهدف إليه الدين وهو الوصول إلى الحقيقة، وذلك بالتأمل والتعقل والتدبر ، وأن الانتقادات التى وجهها لفلاسفة سبقوه لم تكن بهدف الهدم ، بل كانت تهدف إلى البناء والتصحيح والتقويم لآرائهم الفلسفية.

ولهذا فإن نكبة ابن رشد لم تجعله يتوقف عن فكره وبروزه الحسى النقدى، بل دفعته إلى الدعوة إلى الصحوة العقلية لمواجهة العنف بالفكر والروح الفلسفية، والبعد عن العنف والقسوة والشدة، ودفعته أيضاً إلى التقدم والإبداع فى علومه كافة سواء أكانت فلسفية، أم فقهية، أم كلامية، أم طبية، فهو فيلسوف مبدع فى المجالات كافة.

مواقف ومحن ابن تيمية التى واجهها فى عصره:

لقد مر "ابن تيمية"[*] (٦٦١- ٧٢٨هـ) بأزمات ومحن فرضتها عليه أحوال عصره

---

(١) د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ص١٨- ٢٠.

(*) يلقب ابن تيمية بشيخ الإسلام تقى الدين، وهو أحد الأئمة الأعلام، وكبار شيوخ الإسلام الذين خلدوا على الزمن بفضل ما قاموا به من جلائل الأعمال، وما خلفوه لنا من عظيم الآثار. ولد أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بحران وهى بلدة فى الجزيرة بين العراق والشام. وقد عاش شيخ الإسلام فى مسقط رأسه مع والديه ست سنوات، وبعد اجتياح التتار للعالم الإسلامى خربت حران، فهاجر أهلها ومنهم آل تيمية إلى دمشق، وقد استوطنوا بها واستقرت الأسرة فيها. اشتهرت عائلتهم بالعلم، حفظ ابن تيمية كتاب الله وهو حدث، ولم ينس شيئاً منه، وكان سريع الحفظ جداً، بطيء النسيان حتى ليقال إنه لم يحفظ شيئاً من قرآن أو حديث أو علم ثم نسيه، شهد له بذلك تلاميذه ومعاصروه، ومنهم من كانوا من خصومه المعروفين. (انظر ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه سعيد بن نصر بن محمد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ص٥. وانظر ابن تيمية: النبوات، تحقيق د. عبدالعزيز بن صالح الطويان، ج١، ط١، طبعة المجلس العلمى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ص٤٩. وانظر د. محمد يوسف موسى: ابن تيمية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م ص٥٣). وبلغ من نبوغ ابن تيمية أنه تأهل للتدريس والفتوى وهو فى صدر شبابه قبل أن يتم العشرين من عمره، ثم قام بوظائف أبيه العلمية بعد وفاته، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً وتدليلاً، ونظر فى العقليات (الفلسفة وفروعها) وعرف آراء المتكلمين ورد عليهم ونبه على خطئهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين (انظر د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ص٥٦). وقد تتميز ثقافة ابن تيمية بأنها ثقافة إسلامية عميقة بالدرجة الأولى، وأنه يتبع فيها منهج أهل السنة والجماعة اتباعاً دقيقاً وخاصة منهج الإمام أحمد بن حنبل، وإن كان يأخذ من كافة علماء المذاهب الأربعة، وعن كبار المحدثين مثل البخارى والشافعى والطبرى وغيرهم. (انظر د. عفاف الغمرى: المنطق عند ابن تيمية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،

الثقافية والاجتماعية والسياسية للمسلمين، وزادها شدة تمسكه بآرائه المدعمة بالأدلة النقلية والعقلية، ونقده العنيف للانحرافات التى رأى من واجبه التصدى لها. وبدأ اصطدامه بعلماء عصره وفقهائه ، فبدأ يجابه صنوفاً من المحن والاضطهادات ألقت به فى غياهب السجن أكثر من مرة، وأخذ يجابه خصومه متسلحاً أسلحتهم نفسها، فلجأ إلى علم الكلام والفلسفة ليقرع الحجة بالحجة، وكتب فى الفقه وأصوله منفرداً بفتاوى مؤسسة على اجتهاداته الخاصة. ودخل عدة معارك مع فرق الصوفية وشيوخهم، كما كان محارباً بالسيف أيضاً فى صفوف الجيش لصد غزو التتار[١]. لا يبالى بخصومه الآراء التى لايرتضيها، ولم يتردد فى أن يحمل السيف فى وجه التتار، وهم أكبر قوة تصدت للإسلام والمسلمين فى عهده[٢].

لقد كانت من مميزات "ابن تيمية" مواجهة العنف والظلم بالفكر والعلم والدين، فكانت له مواقفه المحمودة القوية ضد الظلم والظالمين، وضد البدع والمنكرات وأصحابها والمتشيعين لها، وقد فطره الله تعالى على ما علمنا من الجهر بالحق لا يخاف فيه لومة لائم، كما كان شديداً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعمل الجاد لإزالته. وكان

٢٠٠١م ص٩). وابن تيمية لم يقتصر على الفروع يقضى فيها، ويحكم على الآراء المختلفة بشأنها، بل تكلم فى مسائل من علم الكلام، فتكلم فى خلق القرآن، وتكلم فى قدرة الإنسان وإرادته، وقدرة الله تعالى وإرادته المطلقة، وقد فحص هذه المسائل بطريقته المقيدة بالكتاب والسنة ومناهج الصحابة وكبار التابعين، وبحكم العقل المستقيم، ولم يتقيد برأى من جاء بعدهم أياً كانت مكانته العلمية ومنزلته التاريخية. (انظر محمد أبو زهرة: ابن تيمية "حياته وعصره – آراؤه وفقهه" ص٨). ويذهب ابن تيمية إلى أن القرآن يشتمل على علوم الدين كلها، وأن الصحابة والتابعين وتابعيهم فقط هم الذين يؤخذ عنهم، فيقف ابن تيمية فى صفات الله موقفاً وسطاً بين التعطيل والتمثيل فلا يلغى الصفات كما قال المعطلة، ولايمثلها بصفات العباد كما صنع المشبهة لأن مدلول الصفات بالنسبة لله غير مدلولها بالنسبة للعباد، فالله بخلاف ذلك ولا يتمثل بالعباد. (انظر: ابن تيمية: الرسالة التدمرية "ضمن مجموعة رسائل" تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٩٣م. وانظر أيضاً ابن تيمية: العقيدة المحمدية الكبرى "ضمن مجموعة رسائل" تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٩٣م. وانظر د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٤). وكان ابن تيمية سلفى غال فى سلفيته، بحيث لا يدع للعقل مجالاً فسيحاً، وكان تقياً ورعاً زاهداً فى متاع الدنيا، وبطلاً شجاعاً فى القول والعمل، ويلاحظ أنه يلتقى مع ابن حزم فى عدة أمور: تبحر فى العلوم الإسلامية مثله، فكان محدثاً ومفسراً، فقيهاً ومتكلماً، ونال حظاً من الدراسات الفلسفية، وأولع النقد والجدل ولوعه، وكان لسانه على خصومه أحد من السيف، نقد كبار الخلفاء والعلماء، وحمل على الغزالى وابن عربى، ولم تسلم الفرق الدينية من نقده وتجريحه، نقد الأحياء كما نقد الأموات، وأوغر بنقده صدور معاصريه، فتألبوا عليه وخاصموه، وسجن عدة مرات، وانتهى به المطاف إلى أن مات فى السجن سنة ٧٢٨هـ بعد حياة حافلة بالدعوة والجهاد والتدريس والفتوى والتأليف والمناظرة والدفاع عن منهج السلف. (انظر د.إبراهيم مدكور: المرجع السابق، ص٣٣، ٣٤) .

(١) د. مصطفى حلمى: ابن تيمية (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) ، ص٧١، ٧٢.

(٢) د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج٢، ص٣٣، ٣٤.

لشيخ الإسلام "ابن تيمية" من الإيمان والشجاعة والتأسى برسول الله وصحابته، ومن الأخلاق الرفيعة القوية، ما يجعله لا ينام على ظلم، ولا ينيم الظالم مهما يكن بأسه شديداً. وابن تيمية لم يكن مؤمناً حقاً قوياً فحسب، ولا ذا شخصية عارمة فحسب، ولكنه كان مع ذلك كله يشعر شعوراً بالغ المدى بالمسئولية التى ألقاها الله على عاتقه بوصفه رجلاً مسلماً عربياً، وبوصفه من العلماء بدين الله وشريعته الذين يراهم الناس موضع الأسوة والقدوة. فإن إحساسه بما عليه من مسئولية بوصفه ابناً من أبناء الإسلام والعروبة، جعله يجاهد بنفسه فى حرب التتار لتحرير الوطن الكبير منهم، ودفع شرهم عن الإسلام والمسلمين، وبذلك كان فعالاً واعظاً، قوالاً كما هو شأن الأكثرية من رجال الدين[١].

فابن تيمية هو الفقيه العالم الذى يجاهد بسيفه فى سبيل الله، ولم يقتصر على الجهاد بعلمه وقلمه ولسانه، بل جرد السيف لقتال التتار، وكان شجاعاً فى ميدان القتال، كما كان شجاعاً فى ميدان العلم والسياسة، فحارب التتار بسيفه، قلماً ولساناً حاداً[٢].

كان خصوم ابن تيمية فى كثير من المحن هم قضاته، من الفقهاء الذين كبر عليهم مخالفته لهم فى فتاويهم وآرائهم، ومن الصوفية وأهل الكلام. وسُجِن مرات عدة، منها سنة ٧٠٥هـ فى يوم الجمعة ٢٦ رمضان، ثم خرج من السجن فى يوم ٢٣ ربيع أول سنة ٧٠٧هـ، ثم حبس مرة أخرى بسبب دعاوى بعض الصوفية ثم خرج عام ٧٠٩هـ يوم عيد الفطر[٣].

عندئذ وجد الذين يريدون محاربة آرائه وأفكاره أنهم حبسوا شخصه، ولم يحبسوا فكره ورأيه، فمكروا مكرهم عند ذوى السلطان، ليمنعوا ذلك النور أن يخرج من ردهات السجن، فيضىء بين العلماء. وكان من نتيجة ذلك التدبير الخفى، أنه فى اليوم التاسع من جمادى الآخر سنة ٧٢٨هـ أخرج ما كان لدى ابن تيمية من الكتب والأوراق والمحابر والأقلام، ومُنِع منعاً باتاً من المطالعة، وحُمِلت كتبه التى كان يكتبها أو يراجعها فى مستهل رجب من هذه السنة إلى المكتبة الكبرى، وكانت نحو ستين مجلداً ، وأربع عشرة ربطة كراريس، وحفظت بها واستمرت محفوظة .

ولذا بلغ الضيق بابن تيمية أقصاه ، فمنع من الكتب والكتابة، ولم يتركوا عنده محبرة ولا قلماً، ولكن ذلك الفكر المتحرك الذى لا يكف عن العمل لا يمكن أن يحتبس، ولذلك كان أحياناً يضطر إلى أن يقيد بعض آرائه وخواطره فيقيدها بفحم على ورق متناثر، وقد جمع الورق المتناثر، وحفظها التاريخ على أنها من آثاره. ولقد احتمل ابن تيمية ذلك الابتلاء بصبر وجلد، وعلم أنه الجهاد العظيم وقال فى هذا: نحن والله فى عظيم الجهاد فى سبيله،

---

(١) د. محمد يوسف موسى: ابن تيمية ص٦٥، ٦٧.
(٢) محمد أبو زهرة: ابن تيمية (حياته وعصره- آراؤه وفقهه) ص٩.
(٣) ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية ص١٧.

بل جهادنا فى هذا مثل جهاد يوم قازان، والجبلية، والجهمية، والاتحادية[*]، وأمثال ذلك ولهذا فمن أعظم نعم الله علينا وعلى الناس قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف/ ١٨٧[١].

لا شك أن التجديد والابتكار الفكرى كان طابع ابن تيمية، ومن أهم سماته، والذى خرج من محراب العلم ليقاتل، ثم عاد إليه بعد أن أدى واجب الجهاد، وقد عاد إلى جهاد أعظم وهو مواجهة العنف بالفكر والابتكار. وقد جمعت لابن تيمية كل العوامل التى جعلت منه رجلاً عظيماً فريداً فى عصره فى الفقه وسائر العلوم الإسلامية، ومن وراثة طيبة قوية، وبيئة صالحة تزخر بالعلم وتدفع إليه دفعاً، وعقل واع، وحافظة ذاكرة لا تنسى ما وعته، وشجاعة تستهين بالأخطار فى سبيل الحق، وإرادة لا تقف أمامها العقبات. وغير ذلك كله من أسباب العبقرية والنجاح والنبوغ وقد صدق العليم الحكيم إذ يقول تعالى : ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ**﴾ الأعراف / ٥٨ [٢].

ولهذا فإن البذرة الطيبة لا تنمو إلا بسقى ورعى فى أرض طيبة، وجو تتغذى عليه وتعيش، ولذلك كان للعصر الذى عاش فيه ابن تيمية أثر واضح فى اتجاهاته العلمية والعملية، وليس أثر العصر بمتفق دائماً مع جنس العصر، فإن كان العصر فاسداً فسد الرجل، وإن كان صالحاً صلح الرجل، وقد يكون التأثير عكسياً، فكثرة الفساد تحمل على التفكير لمقاومة الفساد، فتكون دافعة المصلح لأن يفكر فى أسباب الشر فيقتلعها، وفى نواة الخير فيغذيها، وكذلك كانت المجاوبة بين ابن تيمية وعصره، فكانت المعركة شديدة فى نفسه بين ما علم وما رأى فى عصره من ظلمة شديدة وفساد فى كل نواحيه، فتقدم ليصلح وليداوى، وقد وجد الدواء بأيسر كلفة، ومن أسهل طريق، وجده فى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الصحابة وكبار التابعين، فتقدم بالدواء ونادى به، وما كانت آراؤه العلمية كلها إلا دواء عصره[٣].

فكان ابن تيمية على ما عرفنا بحراً زاخراً بعلوم عدة مختلفة، وكان فى جميع علومه ومباحثه مجتهداً حر الرأى لا يتقيد إلا بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، ومن ثم ظهر بآراء شذَّ

(*) يوم قازان: هو يوم التقى بقازان عندما هاجم التتار بدمشق، وقازان قائدهم، والجبلية هى حربه مع النصيرية يوم أن ذهب وأنزلهم من الجبل، والجهمية هم منكرو الصفات الذين جادلهم، والاتحادية هم الصوفية الذين كانوا يقولون بوحدة الوجود. (انظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ص٦٢٧ هامش (١)).

(١) محمد أبو زهرة: المرجع السابق ، ص٦٢٦، ٦٢٧.

(٢) د. محمد يوسف موسى: ابن تيمية ص٣٧، ٥٣.

(٣) محمد أبو زهرة: ابن تيمية (حياته وعصره – آراؤه وفقهه) ص١٠٥.

بها فى رأى معاصريه من الفقهاء والعلماء، فوقفوا دونه فيها ونالوه بالأذى من أجلها، وظاهرهم فى بعض مواقفهم رجال من ذوى الجاه والسلطان، ومن هذه الآراء ما هو فى التصوف والفلسفة بعامة[١]. ودعم ابن تيمية كعادته موقفه الناقد للأصول الكلامية بأدلة شرعية وعقلية، ونراه يدور حول إثبات أن دلالة القرآن شرعية وعقلية، فهى شرعية، لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها، وعقلية، لأنه يُستدل على صحتها بالمعقول الصريح الذى يعرفه الناس بفطرهم التى فطروا عليها. ولهذا نرى أن النقطة الرئيسة المتكررة فى معظم أبحاثه هى أن الحجة العقلية الصريحة لا تناقض الحجة الشرعية الصحيحة [٢].

فجولات ابن تيمية فى الفقه جعلته فقيه عصره، وجولاته فى علم الكلام جعلته أبرز شخصية فيه، وتفسيراته للقرآن الكريم ودراسته أصول التفسير ووضعه المناهج لها جعلته فى صفوف المفسرين، وله فى كل هذه العلوم آراء مبنية على فحص ودراسة، وقد أتاه الله لساناً مبيناً، وقلباً حكيماً، وقلماً عليماً، فحارب كل من يخالف العقيدة والكتاب والسنة[٣]. فلم يكن يخاف من غيره أو يرهب من سواه، فكان محافظاً على الصلاة والصوم، معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً، فإنه بحر زخار، ولا يطلق لسانه إلا بما اتفق بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على أخطائه، وأجران على إصابته، وسعة دائرته فى السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله[٤].

وقد تجلى إخلاص ابن تيمية فى أنه كان يجابه العلماء بما يوحيه إليه فكره، لا يهمه إلا رضاء الله سبحانه وتعالى ورضا الحق، وسواء عليه أغضب الناس أم سخطوا، فالذى أظهر أخلاصه وتفانيه فى الحق جهاده فى سبيله، ولو كان بالسيف يحمله، وقد كان يتحمل البلاء الشديد فى سبيل إعلاء رأيه، وقد تحمل فى هذا السبيل البلاء الشديد، والسجن المستمر من أعدائه وأصدقائه على سواء. والذى بدا فيه إخلاصه وزهده عن المناصب، وكل زخرف الدنيا وزينتها، فلم يتول منصباً، ولم ينازع أحداً فى رياسة، بل رضى أن يكون المدرس الواعظ الباعث، ولم يهتم برياسة يتنافس فيها المتنافسون[٥].

هكذا برغم كل هذه المواقف والمحن التى واجهها ابن تيمية من أجل بقاء الفكر

---

(١) د. محمد يوسف موسى: المرجع السابق ، ص٧١.
(٢) د. مصطفى حلمى: ابن تيمية (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) المجلد الأول ص٧٢-٧٥.
(٣) محمد أبو زهرة: ابن تيمية (حياته وعصره- آراؤه وفقهه) ص٩، ١٤.
(٤) ابن تيمية: النبوات ص٥١، ٥٢.
(٥) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية) ص٦٣٠.

والالتزام بالكتاب والسنة، إلا أنه وقف فى شجاعة وصلابة، ولم يقف فكره عن الكتابة برغم ما نزع منه من الأقلام والأوراق وأدوات الكتابة، لكنه استمر فى الكتابة بالفحم والورق المتناثر وتدوين آرائه إلى آخر لحظة فى حياته.

مكافحة العنف وكيفية السيطرة عليه بمخاطبة العقل البشرى:

إن مكافحة العنف لا تكون إلا بالمعرفة والتربية على حرية الفكر، والضمير، والإرشاد العقلى، والعمل على تنمية القيم الروحية وتوسيع آفاق التواصل والتعارف والتى تمكن المجتمع المسلم من تجاوز ثقافة الانغلاق، ولهذا يعد العمل السلمى والحوار هو ثقافة المجتمع، والعمل على تجاوز السلبيات وتشكيل ذلك الوعى والثقافة لا يكون إلا بإعادة قراءة النصوص الدينية بعقلية مستوعبة لتحديات العصر ومشكلاته[1].

فالإسلام حر طليق لا يأخذ العقل الإنسانى بما لا يطيق، ولايكرهه على الإيمان بما لا يفهم، ولا يضع أمامه الأسرار التى يجب أن يقبلها دون روية أو تفكير، ومصدر ذلك أن الإسلام حر طلق لم يجعل للحكام على الناس سبيلاً فيما يفكرون ويرون، وإنما اتخذ هذه القاعدة السمحة أساساً لسياسته إزاء حرية الرأى بقوله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ البقرة/ ٢٥٦. فهو إذن لم يمنح السلطة على الناس حق الموت والحياة، وإنما بين حدود الله تبييناً، وعرف الأفراد حقوقهم وواجباتهم، فليس للحكومة المسلمة أن تعذب مسلماً أو تؤذيه وهو يعلن إيمانه بالله ورسوله، وإنما موقف الحكومة المسلمة موقف الإسلام نفسه لا تتحرك إلا حين يتعرض الإسلام للخطر، هو موقف دفاع لا موقف هجوم، ومصدر ذلك أيضاً أن الإسلام من أشد الديانات نصراً للتجديد، ودعوة للفكر والحق[2].

فالإسلام نهى عن العنف ودعا إلى الحرية والتعاون بمخاطبة العقل البشرى، فالحرية وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق، وتقدم العالم نحو الكمال، فقد جعل الإسلام الإخاء الإنسانى أساس الحضارة الإسلامية، وهو إخاء يجعل المرء لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه، وحتى يصل به الإخاء إلى غاية البر والرحمة فى غير ضعف أو استكانة. والإخاء فى الإسلام لا يكون إلا مصاحباً للعدل، والذى مكن للحرية فى الإسلام أن القرآن قد جرد رجال الدين من كل سلطة دنيوية يمكن أن تمكنهم من قمع الحرية عند أصحابها واضطهاد مخالفيهم فى الرأى كما قال تعالى مخاطباً نبيه المصطفى (ﷺ) ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا**

---

(1) ثقافة العنف واللاعنف فى الفكر الإسلامي. www.mominoun.com.

(٢) د. طه حسين: من بعيد، ط٢، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٥٨م ص٢٢٠، ٢٢١.

أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ الغاشية/ ٢١- ٢٢. وقوله تعالى: ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ يونس/ ٩٩[١]. وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ آل عمران/ ١٥٩. وغيرها من الآيات القرآنية التى تؤكد أن القرآن يدعو الإنسان إلى الإيمان والتقوى، والعمل بمخاطبة العقل دون عنف أو قسوة أو اضطهاد.

وهذا يقودنا إلى أن نتساءل:

هل العنف والاضطهاد والمحن والمواقف التى واجهها هؤلاء الفلاسفة والمفكرون والأئمة ورجال الدين كالنماذج التى ذكرناها آنفا كابن حنبل، وابن حزم، والغزالى، وابن رشد، وابن تيمية، تجعلهم فى موقف ضعف أم فى موقف قوة، وصلابة، وعزيمة، وإرادة، وإصرار على العمل والفكر والحوار الدائم؟

فكل هؤلاء لم يكفوا عن أداء واجبهم فى السيطرة على هذه المحن، لأن هذه كلها أمور تصيب الإنسان فهى محن وابتلاءات يختبر الله سبحانه وتعالى بها عباده ويمتحن قدرتهم على التحمل والإيمان بما كلفهم بها الله سبحانه وتعالى.

فمثلاً نجد "ابن حنبل" قد واجه محنته بكل صلابة وقوة وإصرار على رأيه، فنجده حريصاً على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً، ولايوجد له قول ضعيف، وقد نجد ابن تيمية يرجح فقه ابن حنبل لا لشخصه بل لاتصاله بالكتاب والسنة، ولشجاعته وإصراره على قول الحق[٢].

ولو تساءلنا :

ما دور ابن حزم في مكافحة العنف والسيطرة عليه بمواجهة العقل البشرى؟

كان لابن حزم دور فعال فى مكافحة العنف وكيفية السيطرة عليه بمواجهة العقل البشرى، وذلك بحرصه على ضرورة معرفة النفس وتوجيهها، وإصلاحها، لتحقيق الخير والسعادة من ورائها، فهى مناط التكليف والمسئولية، إذ هى العاقلة المخاطبة، العاملة المكلفة، الفاعلة الكاسبة، العالمة المميزة، حاملة الأخلاق، ولأن معرفة النفس إنما تعين على معرفة الحقيقة الكاملة للإنسان، وتساعد على إنشاء نظم، وأفكار، وسلوك، ومشاعر، تتفق مع هذه الحقيقة ولا تضادها ولا تتعارض معها، وتساعد أيضاً على تربية أجيال من الناس بمقتضى الفطرة الصحيحة كما خلقها الله[٣].

---

(١) د. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية (دراسة مقارنة) ص١٣١، ١٣٢.

(٢) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية) ص٦٢٠، ٦٢١.

(٣) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج٥، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان،

فالعقل إذن كما يرى ابن حزم يدفع الإنسان إلى البحث الدائم لطريق العلم والمعرفة ويدعوه إلى التدبر والاستبصار، ويدفعه إلى السمو والرفعة، ويوجهه إلى طريق الخير والنجاح، ويحثه على الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية. وبهذا يرتقى الإنسان، وتزداد قيمته علماً وخلقاً بقدر عمله بالمبادئ الأخلاقية، لأن الأخلاق من أهم مميزات السلوك الإنسانى والتى تنظم أفكاره وتقيم أفعاله وتضبط سلوكه وتصلح حياته. وكان هدفه من وراء ذلك هو إصلاح الحياة الاجتماعية والخلقية بإصلاح الناس، وذلك بتقريبهم من الشريعة الإسلامية التى تطهر نفوسهم وتهذب أخلاقهم، وتدعوهم إلى التمسك بالفضائل الخلقية، واكتساب العادات الحسنة وترك العادات السيئة، وذلك لتكوين حياة اجتماعية وخلقية طيبة.

وسوف نتساءل :

هل نجح الغزالى في مواجهة العنف ومكافحته بمخاطبة العقل بقوانين المنطق ؟

لقد بذل "الغزالى" كثيراً من الجهود فى مواجهة العنف ومكافحته، بالدفاع عن العلوم الفلسفية والدراسات الإسلامية، فإن دل ذلك على شىء، فإنما يدل على تعطش الغزالى للوصول إلى أقصى درجة من المعرفة والفكر(١). إضافة إلى ذلك واجه الغزالى العنف بمخاطبة العقل بقوانين المنطق والذى عدَّه فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة بوصفه مقدمة وميزاناً لكل العلوم مستنداً فى ذلك بما أورده فى مقدمة كتابه "المستصفى" قائلاً: "وليست هذه المقدمة من جملة علم الأصول ولا من مقدماته الخاصة، بل هى مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها، فلا ثقة له بعلومه أصلاً"(٢).

ولذا فقد امتاز طابع عصر الغزالى على المستوى الحضارى، والثقافى، والإنتاج العلمى بنهضة علمية شاملة، فازدهرت فيها الدراسات الإسلامية فى التفسير والحديث والأصول والفقه والفلسفة والمنطق بفضل تلاقى حضارات الأمم المختلفة(٣).

وهذا التساؤل السابق يطرح بدوره تساؤلاً آخر:

١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م ص٧٩، ٨١، ٩١. وانظر له أيضاً: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م ص١٧٦. وانظر أيضًا: ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسى، حققها وعلق عليها وقدم لها د. إحسان عباس، مكتبة الخانجى بمصر ص١٠٩. وانظر أيضاً د. سهير فضل الله أبو وافية: الفلسفة الإنسانية فى الإسلام، المكتب المصرى للخدمات العلمية، القاهرة، ١٩٩٠م ص٦٧.

(١) فكتور سعيد باسيل: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالى، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، بيروت ص٢٣.

(٢) الغزالى: المستصفى فى علم الأصول، ج١، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ص١٠.

(٣) الغزالى: شفاء الغليل، تحقيق د. حمد عبيد الكبيسى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م ص٩.

هل استطاع ابن رشد مكافحة العنف والتغلب عليه بمواجهة العقل؟

نجد "ابن رشد" قد استطاع مكافحة العنف والتغلب عليه بمواجهة العقل، أى دعوته للصحوة العقلية، فكانت فلسفته تعد تعبيراً عن ثورة العقل وانتصاره، ولهذا يقال عنه إنه فيلسوف العقل فى الإسلام، لأن آراءه كانت إلى حد كبير رداً على الآراء التى ابتعدت عن العقل بصورة أو بأخرى[١]. وبالرغم من ذلك يشير ابن رشد إنه مهما أشاد بالعقل ونظره وقدرته على المعرفة، يصرح بأن هناك أموراً يعجز العقل عن معرفتها، وإذن فلنرجع إلى الوحى الذى جاء متمماً لعلم العقل، فإن كل ما عجز عنه العقل، أفاد الله تعالى الإنسان من قبل الوحى[٢].

وهناك تساؤل آخر:

هل واجه ابن تيمية محنته باستقلال فكرى ؟

قد واجه "ابن تيمية" محنته باستقلال فكرى، ولعل هذه الصفة أبرز الصفات فى تكوين علمه وشخصيته العلمية التى جعلت له مزايا خاصة ليست فى غيره من العلماء الذين عاصروه، ولم يكتف ابن تيمية بأداء واجبه تجاه مجتمعه سواء بالفعل أو القول، فقد أدى العلم والتقوى فى مصر، فوعظ وعلم، وجاهد فى سبيل الحق، وتحمل الأذى. فكان من أهم صفاته العمق فى التفكير، فكان يدرس المسائل متعمقاً ويدرس الآيات والأحاديث وقضايا العقل، ويوازن ويقيس بفكر مستقيم حتى يصل إلى نتائج محققة، وما يصل إليه تدهش له العقول، ويحار له الخصوم. فإن الكتاب والسنة أمداه بطائفة كبيرة من الألفاظ الجيدة المنتقاة، وقد اتصف بالشجاعة فى ميدان الحرب، والقضاء على الفساد والفوضى والعنف التى أوجدها غزو التتار لمدينة دمشق، واتجه إلى السنة وأعلنها، ولو خالف كل مألوف عند الناس[٣] .

فكل هؤلاء النماذج السابق ذكرها وغيرهم كثيرون شاركوا فى مكافحة العنف وكيفية مواجهته والتغلب عليه بالفكر والعقل، وأداء واجبهم تجاه دينهم وعقيدتهم وواجبهم الوطنى، فقد اشتركوا فى قيادة الفكر. وهذا ما يجعلنا نتساءل:

---

(١) د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ص١٧، ١٨.

(٢) ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ص٣١ وما بعدها. وانظر: د.محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة (فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م ص١٠٤.

(٣) د. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية) ص٦١٩، ٦٢٩ ، ٦٣١ .

هل قيادة الفكر للعلم أم للفلسفة أم للسياسة أم للدين والشريعة أم لكل هؤلاء معاً ؟

كل هؤلاء قد اشتركوا فى قيادة الفكر، وأخذ كل منهم بنصيب من توجيه العقل الإنسانى، والتأثير فى حياة الشعوب، وآية ذلك أنك تنظر فى أى وقت من أوقات هذا العصر الحديث، فإذا أنت أمام فلسفة تجاهد لتسيطر على الحياة، وسياسة تجاهد لتصوغ الحياة، ودين يناضل ليحتفظ بمكانته وسلطانه، وعلم يجد ليكون له التفوق والفوز، ولكل واحد من هذه الأشياء زعماؤه وممثلوه، والداعون إليه، فهناك عصر سياسة، وعصر علم، وعصر فلسفة، وعصر دين وتشريع، ونجد كل هذه الأمور تزدحم وتتنافس وتستبق إلى قيادة الفكر بمخاطبة العقل البشرى(١).

هكذا يجب على الإنسان ألا يخضع للظلم والعنف ، بل عليه أن يجتهد ويعمل ولا يكون سلبياً ، وإنما لابد أن يكون له موقف إيجابي في الحياة ، لأن المحن والابتلاءات التى تصيب الإنسان ، لا تشكل عائقاً أمام المسئولية والعمل، بل عليه أن يسعى في عمله حسب إرادته ، فلكل إنسان إرادة بها يعمل ، وبها يترك ، وبها يختار ، حسب تقديره العقلى ودينه وشريعته . فالإسلام دعا الإنسان إلى العمل والسعى والاجتهاد والتفكير والتأمل والبحث في كل ما كلفه به الله سبحانه وتعالى ، وهو فى النهاية يخضع لمشيئة الله وقدرته، وقضائه وقدره.

(١) د. طه حسين: قادة الفكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م ص١٤٤.

الخاتمة

يمكن إجمال أهم نتائج البحث فى النقاط الآتية:

١- أثارت محنة ابن حنبل ضجة كبيرة فى صفوف العلماء والعامة، فقد وقف فى مواجهة العنف بكل صلابة وإصرار، وتحمل الإيذاء والقسوة والتعذيب فى سبيل تمسكه بعقيدته وإصراره على القول بأن القرآن كلام الله، أوحى به إلى نبيه محمد (ﷺ)، وأن القرآن إن كان غير مخلوق فليس معناه أنه قديم، فلا تلازم بين كونه غير مخلوق وكونه قديماً، فلا يلزم من أن يكون غير مخلوق أن يكون قديماً، وبذلك يتحرر رأى ابن حنبل فى كون القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه غير قديم.

٢- خرج ابن حنبل من هذه المحنة ظافراً يُضرب به المثل فى الثبات على العقيدة، وعدم الاستسلام ، فقد استأنف نشاطه العلمى والدينى كاملاً فى الدرس والتحديث، أما المعتزلة فقد سجل موقفهم ومحاولتهم أخذ الناس بالعنف على القول برأيهم على أنه أسوأ مثال على التدخل فى الحرية الفكرية، مع أنهم روادها الأوائل، ولولا تدخل الدولة لظل الجدال بين المعتزلة وأهل السنة مجرد مقارعة حجة بحجة، وبرهان ببرهان، وما كان يمكن أن يتحول الجدل إلى تعذيب.

٣- تعرض ابن حزم لكثير من الاضطهاد من فقهاء عصره، نتيجة لحدة طبعه وجرأته ودفاعه عن آرائه ومعتقداته وتمسكه بمذهب مخالف لمذهبهم وهو المذهب الظاهرى، وأصبح من أشد المدافعين عنه، بينما كان المذهب السائد فى عصره هو مذهب مالك، ومن مبررات ابن حزم التى جعلته يأخذ بظاهر النص هو ما صرح به "بأنه لا يحل لأحد أن يفتى أو يقضى أو يعمل فى الدين إلا بنص قرآنى أو حديث عن النبى (ﷺ) أو إجماع، فهذه مصادر ثلاثة للنص الذى يعمل وفقه، ويشترط فى هذا النص أن يؤخذ بظاهره" وإن استعمل التأويل ففى حدود ما تسمح به اللغة وأصول تناول النصوص المنزلة، حتى لا يعطى فرصة لتحريف كلام الله وتأويله كل حسب هواه من غير حجة ، ولا ضرورة شرعية. ولهذا اختار المذهب الظاهرى، لأنه المذهب الذى يوجب الاجتهاد ويمنع التلاعب بالنصوص.

٤- كان لابن حزم دور فعال فى مكافحة العنف والسيطرة عليه بمواجهة العقل البشرى، فعلى الرغم مما واجهه من عنت وقسوة، واضطهاد، وإحراق لكتبه إلا أن أعداءه لم يتمكنوا من طمس علمه، ومحاربة أفكاره، ومهما كان من صرامة المذهب الظاهرى

الذى تحمل ابن حزم فى سبيل الدفاع عنه كثيراً من العنت والاضطهاد، فإن تطبيق ابن حزم للمبادئ الظاهرية على العقائد والمسائل الكلامية ابتكار انفرد به ابن حزم دون غيره من فقهاء الظاهرية.

٥- نجح الغزالى فى محاربة العنف بالفكر والتصدى له، ولم يحارب العنف بالعنف، فبالرغم من الهجوم على الغزالى والعنف الذى تعرض له من قبل الفقهاء والمعارضين له والمتعصبين، إلا أنه انتصر فى النهاية حين وضع أسماء فقهية عناوين لكتبه المنطقية، وحاول جاهداً إبقاء هذا العلم فى المجتمع الإسلامى بتقريبه إلى القرآن الكريم، واستخراج بعض الآيات القرآنية التى استطاع من خلالها استنباط الحجج البرهانية، وليدفع الناس إلى البحث والتأمل والتعقل استجابة لدعوة القرآن الكريم الذى يحث الإنسان على التدبر فى ملكوت السموات والأرض، ومعرفة الخالق، وإبداعه، وإتقانه، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ**﴾ السجدة/ ٧، والتى تدل أيضاً على عظمة القدرة الإلهية وكمال العناية الإلهية بكل شىء فى الوجود.

٦- استطاع الغزالى مواجهة العنف ومكافحته بالدفاع عن العلوم الفلسفية والدراسات الإسلامية، فإن دل ذلك على شىء، فإنما يدل على تعطش الغزالى للوصول إلى أقصى درجة من المعرفة والفكر، إضافة إلى ذلك فقد واجه الغزالى العنف بمخاطبة العقل بقوانين المنطق الذى عَدَّهُ فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة بوصفه مقدمة وميزاناً لكل العلوم، وليثبت للفقهاء أنه من العلوم التى يستمد أصولها من القرآن الكريم، وأشار فى كتابه "القسطاس المستقيم" أن الميزان الذى يتحدث عنه القرآن ليس هو ميزان الذهب والفضة، وما إلى ذلك، وإنما هو ميزان معرفة الله تعالى وملائكته، فأراد من خلال ذلك أن يثبت أن المنطق لا يشكل خطراً على الدين، بل على العكس دفع كثيراً من الناس إلى التعمق فى آياته الحكيمة.

٧- ترجع نكبة ابن رشد إلى أسباب دينية وفلسفية، ولا ترجع إلى أسباب سياسية، إذ يبدو لنا أن السبب الحقيقى فى تلك النكبة هو تهويلات بعض الغلاة من الفقهاء ومزاعمهم التى تصور لنا خطورة الفلسفة على الدين وما يصدر منها من البدع، وعلى الرغم من أن ابن رشد نفسه كان فقيهاً متمكناً من علم الفقه والأصول، إلى جانب ذلك فإن محور جهوده فى دفاعه عن الفلسفة يتمثل فى محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة ، وبالرغم من هذا الاضطهاد الذى تعرض له ابن رشد إلا أن الاتجاه الفلسفى عنده كان اتجاهاً متميزاً عن أسلافه ومعاصريه، وربما يرجع ذلك فيما نرى إلى تميز عقلية ابن رشد

بالقدرة على التحليل والنقد لكل ما يعترضه من أصول منهجية وآراء عقائدية، وإن الفضل الذى يرجع إلى ابن رشد فى تاريخ الفكر الفلسفى العربى والإسلامى هو إحياء المنهج العقلى والنظرة التحليلية والنقدية من جديد، وكان ابن رشد أكثر أصالة فى البرهان والوقوف على العقل والمنطق، وإن كان ذلك قد تسبب فى الإساءة إليه، وجرفه إلى تناول مسائل شائكة وخطيرة إلا أنه كان جريئاً ومجازفاً فى الاستدلال على موقفه.

٨- لعل نكبة ابن رشد لم تجعله يتوقف عن فكره وبروزه الحسى النقدى، بل دفعته إلى الدعوة إلى الصحوة العقلية لمواجهة العنف بالفكر والروح الفلسفية، والبعد عن العنف والقسوة والشدة. ولم يقتصر عمل ابن رشد فى تناوله كثيراً من المسائل على الرد والنقد، بل تجاوز هذا الأمر إلى تصحيح منطلقات وآراء الفلاسفة والمتكلمين بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان أو الرجوع إلى الشرع فى كل ما قصرت عن إدراكه العقول. وبهذا بقى ابن رشد المدافع الأكبر عن الفلسفة، وحاول جاهداً يؤكد أن الفلسفة ليست مضادة للدين الإسلامى ، وأن والانتقادات التى وجهها لفلاسفة المشرق العربى لم تكن بهدف الهدم بل كانت بهدف التصحيح والتقويم لأصولهم وآرائهم.

٩- لا شك أن التجديد والابتكار الفكرى كان طابع ابن تيمية ومن أهم سماته، والذى خرج من محراب العلم ليقاتل، ثم عاد إليه بعد أن أدى واجب الجهاد، وقد عاد إلى جهاد أعظم وهو مواجهة العنف بالفكر والابتكار. وقد بلغ الضيق بابن تيمية أقصاه فمنع من الكتب والكتابة، ولم يتركوا عنده محبرة ولا قلماً، ولكن ذلك الفكر المتحرك الذى لا يكف عن العمل لا يمكن أن يحتبس، ولذلك كان أحياناً يضطر إلى أن يقيد بعض آرائه وخواطره بفحم على ورق متناثر، وقد جُمِع الورق المتناثر وحفظها التاريخ على أنها من آثاره، واحتمل ابن تيمية ذلك الابتلاء بصبر وجلد، وشجاعة تستهين بالأخطار فى سبيل الحق، وإرادة لا تقف أمامها العقبات.

١٠- تجلى إخلاص ابن تيمية فى أنه كان يجابه العلماء بما يوحيه إليه فكره، لا يهمه إلا رضاء الله سبحانه وتعالى ورضا الحق، وسواء عليه أغضب الناس أم سخطوا، فالذى أظهر إخلاصه وتفانيه فى الحق جهاده فى سبيله، ولو كان بالسيف يحمله، وقد كان يتحمل البلاء الشديد فى سبيل إعلاء رأيه، ونتج عن هذا ضروب من المحن والشدائد حاقت به، وخاصة ما واجهه من خصومه من آراء نقدية، ومن هذه الآراء ما هو فى التصوف والفلسفة بعامة، فدعم ابن تيمية كعادته موقفه الناقد للأصول الكلامية بأدلة شرعية وعقلية، ونراه يدور حول إثبات أن دلالة القرآن شرعية وعقلية، فهى شرعية،

لأن الشرع دل عليها وأرشد إليها، وعقلية، لأنه يُستدل على صحتها بالمعقول الصريح الذى يعرفه الناس بفطرهم التى فطروا عليها. ولهذا نرى أن النقطة الرئيسة المتكررة فى معظم أبحاثه هى أن الحجة العقلية الصريحة لا تناقض الحجة الشرعية الصحيحة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- ابن تيمية: الرسالة التدمرية (ضمن مجموعة رسائل) تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٩٣م.

٢- ابن تيمية: العقيدة المحمدية الكبرى(ضمن مجموعة رسائل) تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر اللبنانى، بيروت، ١٩٩٣م.

٣- ابن تيمية: النبوات، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان، ج١، ط١، طبعة المجلس العلمى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤- ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه سعيد بن نصر بن محمد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٥- ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل، ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٦- ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق د. إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.

٧- ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج٣، ج٥، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٨- ابن حزم: النبذ فى أصول الفقه الظاهرى، تحقيق محمد زاهر بن الحسن الكوثرى، راجعه السيد عزت العطار الحسينى، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٩٤٠م.

٩- ابن حزم: ديوان الإمام ابن حزم الظاهرى، جمع وتحقيق ودراسة د. صبحى رشاد عبد الكريم، ط١، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

١٠- ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسى، حققها وعلق عليها وقدم له د. إحسان عباس، مطبعة دار الهنا، مكتبة الخانجى بمصر.

١١- ابن رشد: تهافت التهافت، تقديم وضبط وتعليق د. محمد العريبى، ط١، دار الفكر اللبنانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٢- ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٣- ابن كثير: البداية والنهاية فى التاريخ، ج١٢، مطبعة السعادة، القاهرة.

١٤- الغزالى: إحياء علوم الدين، ج١، ط١، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، دار الفكر، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

١٥- الغزالى: القسطاس المستقيم، تحقيق محمد ركابى الرشيدى محمد، دار الرسالة للطباعة، القاهرة، د. ت.
١٦- الغزالى: المستصفى فى علم الأصول، ج١، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٧- الغزالى: شفاء الغليل، تحقيق د. حمد عبيد الكبيسى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م.
١٨- القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم، حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان، ط٢، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

ثانياً: المراجع العربية:

١٩- د. إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
٢٠- ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الأول، القسم الأول، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٣٣٩هـ- ١٩٧٩م.
٢١- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٢- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) ط٥، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨م.
٢٣- أرندنك فان: ابن حزم (مقالة فى دائرة المعارف الإسلامية) ج١، ط٢، مكتبة الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢٤- الحافظ الحميدى: جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٢م.
٢٥- د. الطبلاوى محمود سعد: موقف ابن تيمية من فلسفة ابن رشد، ط١، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٢٦- أنخل جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
٢٧- د. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية (دراسة مقارنة) مكتبة التراث الإسلامى للنشر، القاهرة، د. ت.

٢٨- د. حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلسى (عصره ومنهجه وفكره التربوى)، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٩- د. زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسى (سلسلة أعلام العرب رقم ٥٦)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.
٣٠- د. سليمان دنيا: الحقيقة فى نظر الغزالى، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.
٣١- د. سهير فضل الله أبو وافية: الفلسفة الإنسانية فى الإسلام، المكتب المصرى للخدمات العلمية، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣٢- شمس الدين الذهبى: كتاب تذكرة الحفاظ، ج٣، مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، د. ت.
٣٣- طه الحاجرى: ابن حزم صورة أندلسية، دار الفكر العربى، القاهرة، د. ن.
٣٤- د. طه حسين: قادة الفكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.
٣٥- د. طه حسين: من بعيد، ط٢، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٥٨م.
٣٦- د. عاطف العراقى: المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٧- د. عاطف العراقى: النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد، ط٤، دار المعارف للنشر، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٨- عباس محمود العقاد: ابن رشد، نوابغ الفكر العربى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
٣٩- د. عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م.
٤٠- عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣م.
٤١- د. عفاف الغمرى: المنطق عند ابن تيمية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٢- د. عفت محمد الشرقاوى: ابن حنبل (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى)، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٤٣- د. فتحى أحمد رضوان: مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السلف، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠٠١م.

٤٤- فكتور سعيد باسيل: منهج البحث عن المعرفة عند الغزالى، دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

٤٥- د. فوقية حسين: ابن حزم (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى)، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٤م.

٤٦- محمد أبو زهرة: ابن تيمية (حياته وعصره- آراؤه وفقهه)، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٧- محمد أبو زهرة : ابن حزم (حياته وعصره – آراؤه وفقهه)، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٤٨- محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية (فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية)، دار الفكر العربى للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.

٤٩- محمد غلاب: الأخلاق والتصوف عند الغزالى، مجلة الأزهر، المجلد العاشر، مطبعة الأزهر بالقاهرة، ١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م.

٥٠- محمد غلاب: المعرفة عند مفكرى المسلمين، مراجعة عباس محمود العقاد، وزكى نجيب محمود، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د. ت.

٥١- د. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف: مذهب التأويل فى فلسفة ابن رشد، ط٢، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، ١٩٩٩م.

٥٢- د. محمد يوسف موسى: ابن تيمية، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٥٣- د. محمد يوسف موسى: بين الدين والفلسفة (فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط)، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

٥٤- د. محمود قاسم: ابن رشد (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى)، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

٥٥- د. محمود قاسم: الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة لابن رشد، تراث الإنسانية، المجلد ٢.
٥٦- د. مصطفى حلمى: ابن تيمية (مقال ضمن معجم أعلام الفكر الإنسانى) تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
٥٧- نقولا زيادة: الإمام الغزالى فى كتاب المنقذ من الضلال، مجلة العرب، العدد ١٤٨ مارس، ١٩٧١م.
٥٨- نيقولا ريشر: تطور المنطق العربى، ترجمة ودراسة وتعليق د.محمد مهران، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

ثالثًا: المعاجم والموسوعات العربية:

٥٩- ابن منظور: لسان العرب، ج٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
٦٠- المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م.
٦١- د. جميل صليبا: المعجم الفلسفى، ج٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت- لبنان، ١٩٨٢م.
٦٢- دائرة المعارف الإسلامية ، ج١ ، ط٢ ، مكتبة الشعب للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
٦٣- معجم أعلام الفكر الإنسانى، تصدير د. إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين، المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
٦٤- ياقوت الرومى: معجم الأدباء، المجلد ٦، ج١٢، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

65- Watt, M.W: A History of Islamic Spain, Edinbury, 1967.
66- O, Leary (Delacy): Arabic Thought and its Place in History, Fourth edition, kegan paul- London, 1958.

خامساً: المعلومات المستقاة من شبكة المعلومات:

67- https://ar.m.wikipedia.org.
68- https://www.almaany.com.
69- www.aljabriabed.net.
70- www.alsharq.net.

71- www.alwasatnews.com.
72- www.alwatan.com.
73- www.ankawa.com.
74- www.baretly.net.
75- www.maaber.org.
76- www.mawdoo3.com.
77- www.mominoun.com.